لحظات فارقة

© حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

اسم الكتـــاب: لحظات فارقة

تـأليـــــــف: د، إيمان محمد عبدالحميد

تدقيق لغوي: سمية خالد

تصميم داخلي: سالم عبدالمعز سواح

النـاشـــــــر: دار الزيات للنشر والتوزيع

القـطـــــع: 21X14

سنـة النشـر: 2025

تم الإيداع بدار الكتب والوثائق المصرية برقم: 33323 / 2025

الترقيم الدولي (ISBN): 978 - 977 - 844 - 691 - 3

دار الزيات للنشر والتوزيع

المشهرة قانونًا بسجل تجاري رقم/ ٤٩٣٥١

ت: ٠١٠٦٦٧٣٦٧٦٥ - ٠١٠١٥٧٦٦٠١٤ / shahnda71@gmail.com

ISBN 978-977-844-691-3

لحظات فارقة

مجموعة قصصية

د. إيمان محمد عبد الحميد

إهداء

إلى **زوجي** وقرة عيني، لا حرمني الله صحبته في الدنيا والآخرة.

إلى زينتي في الحياة الدنيا **(فاطمة وأحمد)**

أنبتهما الله نباتًا حسنًا، وألقى عليهما محبةً منه، ولِيُصنعا على عينه.

(حفظ النعمة أكبر نعمة)

اللهم لا ترني فيهم بأسًا ولا تفجعني فيهم أبدًا.

إهداء واجب

إلى **(فيروز)** من أرض الفيروز

فيلسوف المشاعر الذواقة للشعر والأدب

والتي أوحت لي بكتابة قصة:

(بَعدَك على بالي)

لنستمتع سويًّا بعادات بَدو سيناء.

مقدمة

بقلم الدكتورة والكاتبة **"إيمان محمد عبد الحميد"** تتحول الكلمات إلى لوحات فنية تتراقص فيها المشاعر، وتتجلى فيها الحياة بألوانها الحقيقية.

هذه المجموعة القصصية تقدم لنا رؤى ثاقبة عن الإنسان، وتجعلنا نرى جمال الحياة في تفاصيلها الصغيرة، والآن انغمس في عالمها، واكتشف جمال القصص التي تلامس القلب وتلهب الخيال.

"في عالم يتشابك فيه الحب والفقد، تبحر بنا في مجموعة قصصية اجتماعية ورومانسية، تلامس فيها أعماق النفس البشرية وتجعلنا نعيش مع شخصياتها أفراحهم وأتراحهم، من

خلال قصص محبوكة بعناية، تدور أحداثها في بيئات مختلفة، تطرح أسئلة عن الحب، والصداقة، والخيانة، وتقدم لنا دروسًا عن الحياة والعلاقات الإنسانية، فانغمِس في رحلة مليئة بالمشاعر الصادقة والتجارب الإنسانية، واكتشف كيف يمكن للحب أن يكون مصدرًا للقوة والتغيير".

د. شاهندة الزيات.

عضو اتحاد كتاب مصر.

عضو اتحاد الناشرين المصريين.

بين يدي الكتاب

إلى:

نظرة غيرت القلب

وضمة أذابت كل حزن

ومروءة أبت أن تخذل

ووفاء أبى أن يغدر

وقلب وسع قلبي

ونور أضاء دربي.

إلى:

دمعة لا تجف

وجرح لا يخف

وغدر لا ينسى

وخذلان لا يمحى.

إلى:

كلمة أحيت

وأخرى أماتت

ومواقف أظلمت

وأخرى أنارت.

إلى من قدموا لنا كل هذا.

كنتم دروسًا علمتنا إياها الحياة، ونقاط تحول، وعلامات فاصلة، بل لحظات فارقة.

د. إيمان محمد عبد الحميد.

(إنه هو)

جلستُ بين أوراقي أقلبها فاستوقفتني تلك المدونة.

(عندما نحب نتجرد من آخر أسلحتنا، نقف عزلًا في مغمار معركة خسرناها مسبقًا يوم وطأناها، فحين تزلُّ أقدامنا، ويجرفنا سيل الحبِّ نحو هاوية العشق، نحبُّ بحماقة وبتطرف، فلا حصافة حينها ولا اعتدال، وندرك بعد فوات الأوان كمَّ خدوش الروح وجراحها، فكلُّ حبٍّ مهما سما، سيترك بالروح تذكارًا من لذة وألم، عندما نحب لدرجة الجنون، نتوقف فجأة لا لنقف، بل لنتساءل: متى وكيف بدأ هذا الحب؟! فلا نجد جوابًا قاطعًا).

حسناء

العاشر من أكتوبر ٢٠٠١

كانت تلك خاطرتي يومها، واليوم وبعد عام مضى عاد العاشر من أكتوبر، فماذا سأخطُّ بيدي؟ فما عدتُّ أنا أنا!

ثم دونت: (تطيرتُ من الحبِّ فرقيت قلبي، فقد أصابنا منه ما أصابنا، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا).

حسناء ٢٠٠٢

اليوم مرَّت أربعة أشهر على انتهاء إجراءات فسخ عقد قراني منه قبيل الموعد المحدد لزفافنا بأربعة أشهر، ففي مثل هذا اليوم من عامٍ قد مضى كان حفل خِطبتي، ومن كان يعلم حينها أن تُبدِّل التواريخ ثيابها، فتارةً فرحًا وتارة حدادًا، كما تُبدل الليالي قمرها، فتارةً بدرًا وتارة محاقًا.

كانت أسعد أيامي يوم أخبرتني أمي بأنه قد تقدم لخطبتي، وحدد له أبي موعدًا ليأتي وأقابله، فقد أفصح لأبي أنه كان ينوي التقدم لي منذ فترة، ولكن كان ينتظر لحين الوقت المناسب باقتراب انتهاء دراستي الجامعية بكلية الطب.

جارنا منذ سنوات يكبرني بأربعة أعوام، شاب وسيم وطموح ومن أسرة طيبة، له أختان وأخ يصغرونه، غير كونه جراحًا ماهرًا يدرس الماجستير ويعمل بأحد مستشفيات محافظتنا.

وقد هاتفتني أخته بعد عودته من زيارة أبي لتجسَّ نبضي وتخبرني كم هو يحبني ويتمنى لو وافقتُ عليه، والذي لا يعلمه أحد أنني أيضًا كنت أُكن له الحب، فمن يباريني اليوم ومن يضاهي انتصاري؟! لقد عرفت أن من أحببته عمرًا وكتمته سرًّا، كان يحبني فوق الحبِّ حبًّا، اليوم وقد كُشفت لي الحُجب

فرأيت أنني لم أملك فقط حبه، بل أشعلت قلبه، وهل من شيء يزيد المرأة جمالًا وانتصارًا مثل أن يحبها من أحبت؟

أنْ تُحِبَّ شيءٌ وأن يُحبكَ من تحبه شيءٌ آخر، وتمت الخطبة وعُقد القِران وكنا أسعد خطيبين، ثم حدث ما لم يتوقعه أحد، أتت الرياح بما لا تشتهي السفنُ!

ارتفاع مفاجئ بدرجة الحرارة مع الآم بالمفاصل وعدم القدرة على الحركة، رقدتُّ طريحة الفراش أسارع المرض، فتخلفتُ ولم أتمكن من دخول امتحاناتي بعدما أخبرني الأطباء بأنني أعاني من نوبة حمى روماتزمية حادة وعنيفة استهدفت القلب والمفاصل، ويستوجب عليَّ عدم الحركة، لجأتُ للعلاج بجرعات عالية من الكورتيزون - ذاك العقار سيئ الأثر والسمعة - الذي أحالني إلى شبح منتفخ الوجه والجسم، ونال من جمالي وملامحي، لكن كان لا مفر ولا بد منه، وبعد شهور من الأدوية والعقاقير خمد الالتهاب تاركًا خلفه جسدًا مشوهًا يشبهني شكلًا، وروحًا محطمة لا تمسُّ لي بصِلة، وارتجاع بصماميٍ القلب - الأورطى والميترالي – يلزم إجراء عملية قلب مفتوح لاستبدالهما.

تلك الأحداث كلها تتابعت عليَّ في غضون أشهر معدودة، وقد كان خطيبي يقف بجانبي ويساندني ويشدُّ من أزري، لكن لكلٍّ منا قدرته على الصبر والتحمل، كلٌّ على قدر مخزون قلبه من الحبِّ والعطاء و التضحية، وقد كان الابتلاء له بقدر ما هو لي، فهو ابتُليَ في صحة وجمال من أحبها، وأنا قد ابتليتُ في صحتي وفيه، ولأن المصائب لا تأتي فردى، فبعد خضوعي لعملية القلب المفتوح تلك، تغير نحوي وبدأ يتهرب من زيارتي ويُلَمِّح بما لم أفهمه إلا لاحقًا، ثم أعلنها صريحة لأبي أنه من الممكن أن يتم زيجته بي بشرط أن يتزوج عليَّ فيما بعد، فكما ذكر لأبي أنني طبيبة وأعلم جيدًا أن ما أصابني سيؤثر على قدرتي على تحمل متاعب الحمل والإنجاب فيما بعد، فإما أن ننفصل وأتنازل له عن كلِّ حقوقي، وإما أن أقبل بشرطه.

يبدو أن قلبي هذا صار مكتوبًا عليه الجراح والالآم، لكن هذه المرة ما ألمُّ به ليس له علاج، فما أدمى جرح القلب إن جاء ممن كان يسكنه، لم يترك أمامي خيارًا، فالخياران يحملان في طيِّهما أنه ما عاد يحبني، ومن ثَمَّ فإن عنصر الأمان بيننا غدا مفقودًا، فتمت إجراءات الطلاق بعدما تنازلت له عن كلِّ حقوقي.

وبدأتُ مرحلة جديدة من عمري، مرحلة صارت ثقتي في نفسي مهتزة ومشاعري كلها مبلبلة، بعدما كنتُ الطبيبة الجميلة ذات الحسب والأدب التي كان يتمناها الكثيرون، اليوم صرتُ جريحة القلب حقيقةً لا مجازًا، معتلة الفؤاد عضويًّا ونفسيًّا.

جلستُ لنفسي أُحادثها، وقد اعتدتُّ الوحدة والهروب من الناس، فهم ما بين مشفق وشامت، وكلاهما تؤلمني نظراته، وذات ذكرى له وقفتُ أمام مرآتي أتحسس أثر الجرح في جسدي، وألتمسه في روحي، محدثةً نفسي: تركني جريحة القلب، آذاني من كان سر سعادتي، كنت أظنه هو نصفي الآخر وتوأم روحي، فهو أول من خطَّ في سجل الهوى اسمه، هل لي بمن يعيد قلبي كما كان عذريًّا أبيض الصفحات؟ من يمحو أثر ذاك الجرح النفسي؟ فالجرح العضوي ما عاد يؤذيني.

كلُّ شيء قد يتأرجح سعره ما بين زيادة ونقصان إلا البشر، فمن يرخص منهم في نظرك من المستحيل أن يغلو ثانيةً، وها هو قد نزل من عيني وما عاد له في قلبي مكان.

أرخى الليل سدوله وكانت ليلة طويلة باردة كئيبة ككل ليالي ديسمبر، وكنتُ كعادتي في غرفتي ملتحفة بوحدتي أجتر أوجاعي والآمي وذكرياتي، وإذ بصوت أمي يناديني، فاندفعتُ نحو الباب

مسرعةً، فقد أفاقني من خيالاتي صوت أمي، وبعد حديثٍ دارج طويل من الاطمئنان على الأحوال والصحة وما إلى ذلك من الأحاديث المختلقة، تمهيدًا من أمي لقول شيء ما تخشى أن تفصح عنه، ثم نطقت أمي بما قد جاءت لأجله:

- هل تعرفين دكتور (أدهم جابر) صديق (أحمد) زوج أختك عبير؟

أجبتُ: نعم يا أمي، هو طبيب امتياز يكبرني بعامين، وهو إنسان خلوق، متدين، طيب الأصل ومتفوق أيضًا، أظنه سيتعين بالجامعة هذا العام إن شاء الله، لماذا تسألينني عنه؟

أجابت أمها في فرحة وترقب: لقد حضر مع (أحمد) زوج عبير أختك الليلة لخطبتك من أبيكِ، بينما كنتِ في زيارة (خالتك)، وهو في انتظار ردِّك، فما رأيك؟

- رأيي؟!

وأطرقتُ شاردةً مضطربة، (أدهم) إنني أعرفه جيدًا، كان كلما رآني ارتبك، وكلما مررتُ من مكان هو فيه تلعثمت كلماته ونظراته.

كنتُ أشعر أنه معجبًا بي كغيره - وإن كان هو ليس كغيره - فما حاول يومًا أن يتعمد لفت انتباهي، أيتقدم لخطبتي بعد كل ما حدث لي من طلاق وظروف صحية صعبة؟! هل يعقل أنه يحبني لهذه الدرجة؟!

ثم باغتُّ أمي مستنكرة: لكن كيف الآن؟! ما ذنبه؟

أجابتني أمي بيقينٍ ورضا: ولم لا؟ إنَّه صرح لـ أحمد أنَّه يحبك حدَّ الجنون منذ سنوات، وأنَّ كلَّ ما حدث لكِ لم يفرق معه وما زاد منزلتك في قلبه إلا علوًّا.

أجبتُ في حيرةٍ وعدم استيعاب: قد يكون مشفقًا عليَّ ليس أكثر، هو يستحق من هي أفضل مني كيانًا وصحةً.

أجابتني أمي مسترجية: استخيري ربكِ وبعدها نجيبه، فهو لا يستعجل الرد.

وطاردتني أوجاعي نحو مخبأ عزلتي، فتدثرتُ غطاء وحدتي وأوصدتُّ أبوابَ قلبي دون ذاكرتي، وأشرعتُ نافذة أملي، وكلمات أمي ما زال صداها يتردد في أذني، ولم لا؟ نعم ولم لا؟! عسى أن يكون هو الذي سيعيد سجل سوابق الهوى إلى عذريته.

من سيعيد للمشاعر بكارتها الأولى؟ من سيمسح دمعة مكابرة ويشفي جرحًا مكابرًا؟ من سيكون شاهدًا على برئي لا على موتي؟ ذاك الذي سيجُبُّ ما كان ومن كان قبله، فأُوقن حينها أن ما حدث لي ما كان سوى محض كذب، كابوسًا لا واقعًا.

ذلك العاشق الجنوني الذي أتى على غِرَّة، جاء بتوقيته هو بعدما كففتُ عن انتظاره، جاء ليبعثرني ويعيد ترتيبي كما يروق له، ليهبني زاد عمري من الحبِّ والعشق والجنون، وما بين دهشة وأخرى وجرح وبرء، وبين حبٍّ رفضنا، وحبٍّ طلبناه، جاء هذا الاستثنائي الذي سيفعل كل هذه الاستثناءات، ذاك الذي لا يشبهه أحد ولا يعوضه أحد، وما كان قبله أضغاث أحلام، وكذب أقلام ومحض أوهام.

الذي سيعيد صفحات قلبي ناصعة بيضاء بطهارة حبٍّ، وُلِد لتوِّه بعدما أتمَّ حمله في رحم قلبه، فأحمله أنا في رحم قلبي ليولد مرتين، من سيأتي بكل هذه الأفعال غير المسبوقة سواه؟! رجل في خيالي كم تمنيت أن يكون حقيقة ملموسة، فكتبته بين طيَّات أوراقي، فوشت بي كتاباتي، رجل من ورق، أحببته غيبًا، وكتبته شعرًا، فكان زلة قلمي، زلة لساني واستقامة قلبي.

ومرت الأيام وعادت بمثلها، لكن ليست كمثلها، وعاد العاشر من أكتوبر لعام ٢٠١٠، وجلستُ أنا وأدهم سويًا في شرفة منزلنا في حضرة القمر، بعدما نام أطفالنا، ونظرتُ إليه نظرةً تفيض حبًّا وامتنانًا قائلةً:

(يا رجلًا قد أيقظ حضوره أنوثتي

ارتوِ من عيوني فكلُّ هذا الشوقُ لك

كم بحثنا عن الحبّ زمانًا، فكيف إذا جاءنا نؤجله؟

أي تحايل في هذا؟!

اقترفتك يا رجل، فهل في الحبِّ توبة؟

يا مغريًا دون جهد، وملفتًا دون قصد، وملهمًا دون عمد،

يا رجلًا أحبُّه وأحبُّ من يحبه، وأحب كل ما يحبه..

كيف أوقف انجرافي نحوك؟!

يا نهر عشقٍ شق صدري زبديًّا رقراقًا، فروى ظمأي حتى سكن.

تتشابه قصص الحبِّ وإن كانت لا تتطابق، ووعدتني عيناك حين التقيتك بقصة لا تتشابه ولا تتطابق، وقد وفيت.

(ذاق الشجرة)

رافقها الأرق ليلتها تلك وجفاها الكرى، فما عساها أن تفعل؟ أتتركها في غيها تتخبط؟

أم تصارحها بما توصلت إليه وهي من تقرر؟

كان هذا حوار (هدى) مع نفسها، فلم يغمض لها جفن، فالأمر ليس بالهين والحيرة قاتلة، خاصةً إذا تعلق الأمر بأخذ قرار سيترتب عليه مصير اثنين، كان ما أخبرها به (عمر) زوجها حملًا ثقيلًا عليها ناخت به قواها، وما إن علت شمس الصباح، حتى قررت هدى أن تنفذ ما عقدت عليه العزم.

كانت (تقى) في كامل سعادتها وهي تتنقل من متجر لآخر لشراء مستلزمات العرس فقد اقترب موعد زفافها، لكن للقدر رأيه الذي سيقوله في موعده، فنعلم كم كان الله لطيفًا بنا، إذ يمسك بطرف ثوبنا قبل أن تزل أقدامنا فنقع في هوة لا قرار لها.

دخلت هدى على تقى مكتبها وألقت التحية، وملامحها تدل على أنها ما نامت ليلتها تلك، وقفت أمامها تعبث بالأوراق وأكوام الدفاتر، فتنقلها من جانب إلى آخر فتناقصت إحداها وتنامت الأخرى، ثم ازدادت حركتها لفرط ارتباكها، ويداها تعبثان بالأقلام محدثة ضوضاء مزعجة.

لاحظت تقى فرط انفعالها فقالت:

- يبدو عليكِ الإرهاق، ألم تأخذي كفايتك من النوم؟

أجابت هدى:

- نعم، كانت ليلة طويلة لم أنم فيها.

ردت تقى منزعجة:

- لماذا يا حبيبتي؟! هل يوجد أية مشكلة بينكِ وبين عمر؟

أجابت هدى:

- لا والحمد لله.

ثم جلست متصنعة الثبات، وأردفت:

- هل من الممكن أن آخذ مشورتك في موضوع؟

ردت تقى:

- على الرحب والسعة.

نطقت هدى بعد عناء وكأنها تجاهد نفسها:

- اكتشفت أن إحدى صديقاتي تتعرض للخيانة الإلكترونية، وأنا في حيرة من أمري، هل أخبرها أم لا؟ ما رأيك؟ لو كنتِ في مكاني كيف ستتصرفين؟

ردت تقى في حزم:

- لو كنتُ متأكدة، وهي ما زالت في فترة الخطوبة فسأخبرها قطعًا، وسأنصحها أن يكون قرارها حاسمًا قاطعًا، فمن افتقد الأمان لا يمكن أن يجده ثانيةً في نفس الطريق الذي ضاع منه فيه، فلتبحث عن أمان قلبها وطمأنينته في طريق آخر وقلب آخر.

بهتت هدى ولم تجرؤ على النطق بأية كلمة، فقد ألجمها ردُّ تقى.

عادت هدى لمنزلها، ولم تقوَى على مصارحة تقى بحقيقة خطيبها، فسألها عمر:

- هل قلتِ لها شيئًا؟

ردت هدى في عجز:

- لا؛ فزفافها خلال أيام خفت أن أكسر فرحتها.

ردَّ عمر في أسى:

- أعجب لأمر خطيبها هذا، أيدعي التقوى أمام الناس؟! أيستحي منهم ولا يستحي من الله؟ أما تخيل أن من يحترمونه إذا ما رأوه على ذنبٍ كهذا، كيف

سيحتقرونه؟ سنواتٌ وستر الله عليه غالب، الجميع يرونه ذاك الفتى المتدين الخلوق ذا الهيبة والوقار، لكن لكلٍّ نصيبه من الستر الذي إذا ما نفد انفضح أمره، ذنوب الخلوات هي أصل الانتكاسات.

ردت هدى قائلة:

- وما الحلُّ إذن؟

قال عمر:

- استخيري.

قالت هدى:

- فليكن.

كعادته في كل مرة بعد انتهاء مكالمته معها، أغلق هاتفه وراح يسأل نفسه لائمًا مُعنفًا: ما له وذاك الرقيق الأبيض؟ جواري - إنْ صحّ الوصف- لزمنٍ مُنِع فيه الرقُّ فاستعبد البشر أنفسهم، وباعوها رهينة الشهوة.

نساء مزاحهن سخافة، وضحكهن إعياء، وخضوعهن ذلة، ودلالهن تبذل، صيد سهل المنال، يعانين من جوع العاطفة

وتخمة الشهوة، كونها علاقة مادية بحتة خالية من الروتين والملل، حيث لا امتلاك، لا غيرة، لا إلزام، تبادل منفعة ليس أكثر، فكلُّ طرف يعرف جيدًا حدوده تجاه الطرف الآخر وما يحتاجه منه، أو كونه نمط غريب ووقتي للذة حسِّية عارضة لا غير، تبدأ برغبته بها حين تحضر، وتنتهي بقمة اشمئزازه منها حين تمضي، وربما هي أيضًا ينتابها مثل ذاك الشعور نحوه.

امرأة عابرة - مثل من سبقوها - يتجرد أمامها من كلِّ شيء، لكن لا يسبق حضورها لهفة ولا يعقب رحيلها ذكرى وإن تخلل وجودها متعة.

امرأة عابرة – كغيرها - فلم تكن الأولى ولن تكون الأخيرة عبرت حياته وقتًا، لكنها ما عبرت قلبه لحظة.

أمَّا هو فليس سعيدًا، بل منغصًا عليه حياته، صدره ضيق حرج كأنما يصَّعد في السماء، إنه الذنب الذي جناه والشجرة التي ذاقها فبدت له سوأته وهو يجاهد عبثًا أن يخفيها.

ماذا به؟! أفكلما خلا بمحارم الله انتهكها؟

ماذا عن ربه؟ أوَما يخشاه؟!

ماذا عن تقى؟ أهو حقًّا يحبها؟ فلمَ يخونها إذن؟!

فتاة طاهرة في عينيها خجل العذارى، وعلى شفتيها بسمة الحب البريء، ما أشد الفارق بين الطهر والدنس، عقد قرانه عليها منذ فترة وهما على أعتاب الزفاف.

متى سيقلع عن ذنبه هذا؟

وإن لم يتركه لأجل الله، فهل سيتركه لأجلها؟

أهو خائن بطبعه؟ أم أنه يعاني من فراغ عاطفي؟

أهو اعتاد الأمر فأصبح من الصعب أن يتركه؟ وأخطر ما في الذنب إلف المعصية، هل سيظل هكذا؟

هل سيبرر لنفسه ويُسكت صوت ضميره هذه المرة أيضًا بأنَّ هذه ليست خيانة؟

المحادثات الهاتفية مع قطط الشات المتربصات خلف الشاشات، هل يقنع نفسه بفعلته بأنَّ هناك من أقرانه من فاقوه عومًا وغطسًا، وما الذي آتاه هو وهو ما زال يقف على البرِّ؟

ظلت هذه الأفكار تدور برأسه حتى غلبه النعاس، ولم يفق إلا على صوت المارة يتصاعد إليه عبر نوافذ سكنه المطل على الشارع العمومي لهذه المدينة التي يقيم بها وحيدًا منذ خمسة

أعوام، فصار فريسة لغربته ووحدته ونفسه الأمارة بالسوء، فقد فرض عليه هذا الوضع وظيفته البعيدة عن مسقط رأسه ومسقط قلبه حيث تقى، حيث الفطرة السليمة والحب الطاهر.

تقى التي تحبه، وتراه فارسها الذي جاد به الزمان بعدما ضنَّ عليها بحنان أبيها، إذ يُتمت مُذ كانت طفلة لم تتجاوز الخامسة من عمرها، لا أب، لا أخ، لا أخت، وقد رأت فيه أباها وأخاها وحبيبها وسندها، وهو من تغير عليها منذ فترة فصار يقصيها ويجافيها وهي تشعر وتكتم كونها تحبه، هل ستسامحه لو علمت؟!

نفدت قدرة هدى على الكتمان فجاءتها تمشي على استحياء لتنزل فارسها هذا عن جواده، وتنزع عنه ثوب فروسيته الزائف، وتكشف عنه قناعه.

سمعت منها تقى، فماتت في فمها الكلمات، ومضت وقد تغيرت نظرتها له تمامًا، فقد نسامح في أي شيء ونبرر أي شيء سوى الخيانة، فلا سماح فيها ولا تبرير لها، نزفت دماء قلبها، علَّها تخرج من قلبها آخر إحساس تجاهه وللأبد، وكلَّ ما كانت تخشاه أنْ تصيبها انتكاسة!

وذات يوم لمحته صدفة فارتبكت، فبكى جسدها عرقًا كما بكت عيونها دمعًا، ولسان حالها يقول: أشفقتُ عليكَ لكن لا أعذرك.

خطايا الأحبة لا تُغتفر وإن كانت حبرًا على ورق، خيالًا أم يقترف.

وحدها الخيانات تغتال الحبَّ، قبلك كنتُ امرأة يخشاها الحبُّ، وبعدك صرتُ أخشاه، باتت بيننا صلة الحبِّ مقطوعة.

صدفةً التقيتكَ فارتعدت أوصالي، ارتبكت عيناي، تلعثمت نظراتي، كانت نفس الأعراض تعتريني لفرط حبك، واليوم لفرط بغضك، كيف لداء تتشابه أعراض الإصابة به بأعراض البرء منه لهذا الحدِّ؟! وحده الإدمان يفعل، ولقد أدمنتُ حبكَ وها أنا ذا أقلعتُ عنه.

يا إيماني ورِدَّتي، وناري وجنتي، وتَوبي وزِلتي، ونوري وظلمتي، ونقائي وشوبتي، جديلة المتضادات تلك تخيفني، لطالما باعدنا القرب، أخشى أن يقربنا البعاد.

وقد كان.

وراح التاريخ يعيد نفسه..

في الماضي بذل الكثير ليتعرف عليها، ليتقرب منها، لتقبل به، ثم كان له ما سعى إليه، فلم يحفظه، هكذا الإنسان يجهل قيمة ما بيديه إذا ما ناله، والآن يتمنى لو تسامحه، لو تعاوده، لو تعطيه فرصةً أخرى، عاد ليدور في فلكها ويرسل لها تارة بواسطة أصحابها، وتارة يراسلها هي ويستعطفها محاولًا استعادة حبها وثقتها، ولكن دون جدوى، هي الآن من ترفضه، هي الآن من لا تريده.

أرسل لها برسالة يستجديها ويضرب على وتر حبها له:

(للرحيل كما للحبِّ أناقته

شدَّ خصركِ حزام حنيني، يا لِأنوثتك!

نزعتي ثوب الإغراء عن كلِّ أنثى سواك

ظمآنٌ لريِّكِ، جائعٌ لحبكِ، متجردُ الإحساسِ بعدكِ

أفتقدك قدرَ امتلاكي لهن، قدرَ احتقاري لهن، قدرَ زهدي فيهن،

رجولتي دونكِ زائفة، حُرمتُ دفئكِ فيا لِصقيعِ عمري في غيابكِ!

على من أعتب وأنا المَلُوم؟

كَلَّ متني من طرق بابكِ، أما تشرعيه؟

ضعتُ مذ أفلتِّي يدي).

أجابته تقى بثبات المحقِّ:

(سعيدةٌ بضياعك بعدي

ممتنة للجرح أن شفاني منكَ

أدركت مدى أثري وأنا أشاهدكَ

تتلطم فتركلكَ الحياة بأقدامها، فلا

حبٌّ ولا حبيبٌ، ذقْ إنَّكَ كنتَ الحبيبَ القريب.

فلتذهب إلى جواريك، فأنا حرة لا أرضى بعبد شهواته ونزواته ولتكمل طريقَ الضياع كما بدأته، من لم يحفظ الله لن يحفظني).

وأطرقت تقى تلوم نفسها وتعنفها، أجل، لقد كان اختبارًا لقلبي ولكرامتي معًا بإجماع الأدلة، والأدلة لا نقض لها ولا إبرام.

رجلٌ هزمني مرتين، مرة بحبه الزائف ومرة بخيانته المؤكدة، فخلق مني امرأة أبدًا لا تُهزم، رجلٌ عابر مرَّ بحياتي ولم يمر بقلبي؛ فالحبُّ الزائف لا يعبر القلب أبدًا، إنّي لألعنه ألف ألف مرة، وأحقد عليه ألف ألف مرة، وأبغضه ألف ألف مرة فهذا أليَقُ به وأنسب، أكره فيه كلَّ رجلٍ حصر رجولته على أنَّه ما زال قادرًا على إغواء أنثى، والأصل في الرجولة الضدُّ لو يعلمون.

الرجولة أن تكون مغريًا دون عمد، ملفتًا دون قصد، كالنجم الساطع نرنو إليه وهو من هو؟ عصي بعيد المنال، أتراني (رمتُ المُحال من الطلب؟)

الحبُّ الصادق - العزيز الذي لا ينال - أم أن الحبَّ الصادق والوفاء موجودان وسيطرقان بابي يومًا ما؟

أنا في انتظار ما يجود به القدر.

(بَعدَك على بالي)

البدوي بيقول:

في عز الحر بنقول هانت

الصيف أوله طلوع الثريا، وآخره طلوع سهيل.

نجم سهيل هو نجم عملاق ساطع مصفر اللون لُقِّب بنجوم مختلفة مثل (البشير اليماني)؛ لأنه كان دليلًا لهم، وهو ثاني ألمع نجم في السماء بعد (الشعرى اليمانية).

وظهور (نجم سهيل) عند العرب يدل على بداية التغير الفصلي واعتدال الجو وكسر حدة الحرارة، وبرودة الماء مساءً، إن طلع سهيل برد وطال الليل، وطال الظل وقصر النهار.

يظهر نجم سهيل في الجزيرة العربية في أواخر شهر أغسطس ويراه أهل سيناء يوم ٥ سبتمبر، ويغيب أواخر شهر إبريل.

وهو عند العرب علامة مهمة يرصدون طلوعه للتحضير للموسم الزراعي الجديد؛ حيث يُبشر ظهوره ببداية موسم الأمطار.

ويعرف الصيادون أن وقت الصيد قد حان؛ حيث تقترب الأسماك من السواحل، وتُلاحظ هجرة بعض الطيور مثل الدخل والقميري كما تعود سفن صيد اللؤلؤ من البحر في الخليج العربي وتتغير اتجاهات الرياح.

عشقتُ حياة البدو رغم صعوبتها وما أُشيع عنهم من شدة الطباع وصلابة القلوب، لكن هل كل شائعٍ صادق؟

قرأت الكثير عنهم وعن حياتهم

وقد وافقني الحظ حين كلفتني القناة التي أعمل مراسلًا بها منذ ثلاث سنوات، أن أخالط بدو سيناء وأتعامل معهم عن قرب، حتى صارت بيني وبينهم مودة وعشرة طيبة، فهم أُناس كرماء أُصلاء يحبون من هاجر إليهم، وكانت قد جمعتني صداقة بأحد مشايخهم -رغم فرق السن الذي يجاوز الأربعين عامًا- وهو الشيخ حسن، ذلك البدوي الذي كان قد جاوز السبعين من عمره، وكنت أحب أن أجلس إليه لنتبادل أطراف الحديث، حيث الحكمة كلها عنده.

وبعد انقطاع دام ما يقارب الشهرين عن زيارة الشيخ حسن لظروف العمل في منطقة أخرى، عدت ذات صباح لزيارته حيث يقيم بقرية **شيبانة** بمدينة رفح بشمال سيناء، والواقعة بالقرب من الحدود المصرية الفلسطينية، لأجده جالسًا بحظيرته يتابع في ترقب ذلك الجزار الذي أحضره لتقليم أظلاف أغنامه وهي عادة في سيناء، مثلها مثل باقي المناطق الأخرى، حيث يتم تقليم الأظافر للأغنام مرتين في السنة للحفاظ على صحتها ومنع تعفن الأظلاف والتهابها، وذلك لإبقاء الخروف قادرًا على الحركة الطبيعية، يتم التقليم عادة في بداية الشتاء أو كلما زاد طول الأظلاف عن الحد الطبيعي، وذلك بمراقبة أظلاف جميع أفراد القطيع.

حيث يتم تجميع الأغنام في حظيرة أو منطقة معينة لتسهيل العمل عليها، ويجب تثبيت الخروف بإحكام لتجنب حركته أثناء عملية القص.

ويقوم بهذا التقليم جزار متخصص أو مربي ماشية مدرب مستخدمًا سكين أو أداة حادة مخصصة لقص الأظلاف الزائدة من أصابع الخروف.

ألقيت عليه التحية:

- السلام عليكم ورحمة الله وبركاته يا شيخنا.

رد متهللًا:

- حييتم، وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أستاذ محمد، اجلس، اجلس لتشرب الشاي حتى يعدوا لنا الطعام.

قلت:

- ما من مرة أزورك فيها يا شيخنا إلا ودعوتني للطعام أيًّا كان الوقت.

رد متعجبًا:

- أتنزل في ضيافتي ولا أكرمك؟! يا ولدي **(الضيف شاعر وفي نفس الوقت أسير، وعندما يهل عليك أمير).**

وتابع عاتبًا:

- لم أرك منذ شهرين، لم طالت غيبتك؟ وكيف حالك؟ ظننت أنك تزوجت ولم تدعني.

أجبت في خجل لعتابه لي:

- اعذرني يا شيخنا، أمور خاصة بالشغل، اغفر تقصيري وعدم اتصالي. وللأسف لم أتزوج بعد، العقبات التي لن تنتهي، والأمور ليست على ما يرام، أنا أحبها وأريدها، لكن أمها لا تريدني وتضع العراقيل في طريقي، فهي تراني لست كفؤًا لها، دعواتك يا شيخنا. بدأت أملّ، خمسُ سنوات خطوبة، لقد شاب شعري وأترابي أولادهم بالمدارس، وأنا في محلي لا أتحرك.

رد الشيخ حسن في لطف:

- " يا ولدي، أمها تجهل قيمتك **(اللي ما يعرف الصقر يشويه، وما يكب الطبخ إلا الصحن الأعوج).**

إياك أن تترك من قلبك معها. اصبر لعل الله يحدث بعد ذلك أمرًا، ولا تنزعج من عتاب عجوز مثلي، وأنا في مثل سنك كانت تشغلني الحياة عن أقرب الناس، لكنه العشم يا بني، وأنت تعلم معزتك عندي".

نعم الشيخ حسن يحبني جدًّا ويقربني كثيرًا ويعاملني بحفاوة وترحاب فائق النظير، فأنا أذكره بابنه الذي فقده في حادث منذ أكثر من عشر سنوات، وكان اسمه على اسمي وكان في نفس سني تقريبًا مع بعض الشبه.

انتهى الجزار من مهمته واصطحبني الشيخ حسن لتناول واجب الضيافة بالداخل، ومضى النهار وحل بنا الليل وأنا سعيد بحديثه وصحبته، ثم جلسنا نتناول الشاي ونتبادل أطراف الحديث، وكان دائمًا ما يحدثني عن نفسه وعن أولاده وأحفاده وعن أحوال بدو سيناء وعاداتهم، غير دورهم الوطني المشهود أثناء حروب الاستنزاف وحرب أكتوبر، فقد اعتُقل الشيخ حسن في شبابه خمس سنوات في السجون الاسرائيلية؛ لأنه ساعد جنديًّا مصريًّا في الهرب من أيدي اليهود أثناء حرب ٦٧.

مضى الوقت سريعًا ممتعًا في حضرة الشيخ حسن، ثم إذا به يتنهد ناظرًا للسماء من النافذة المجاورة له قائلًا:

- **(سهيل يا الجنوبي، اشتقنا لك).**

(بَعدَك على بالي، بَعدَك على بالي).

أعلم من يعني..

حبيبته التي طالما حدثني عنها

وكان في كل مرة آتي إليه يتعمد أن يذكرها!

حكي لي عنها قائلًا:

كنت وأنا طفل صغير أذهب مع أبي إلى قريته التي تبعد عن المكان الذي نقيم فيه حوالي ٤٠ كيلو مترًا على الحدود الفلسطينية، وفي ذلك الوقت كان لا يوجد كهرباء، وكنت ما بين جدتي وزوجة أبي أقضي يومًا أو أكثر.

جدتي كانت امرأة جيدة بمعني أنها كريمة جدًّا ودائمًا بيتها عامر بالخير وهناك كانت توجد بعض النساء اللاتي تساعدها لتحضير الغداء يوميًّا للمكان الذي يأتي فيه الغريب والقريب ليتناول واجب ضيافته، لدرجة أنه لو لم يأتي أحد في يوم كانت تبكي؛ لأن زادها لم يأكله ضيف. كل هذا وأنا أشاهد هذا وأتعلم وأستغرب من أنها تبكي لهذا السبب!

تعلمت منها أنه بالقدوة وليس بالأمر تزرع القيم داخل النشء.

وفي ليلة من تلك الليالي وأنا نائم عند جدتي وعيت على بكائها، وكنا في ساعة من ساعات الصباح الباكر، تبكي وتنوح؛ لأن

صلاة الفجر فاتتها، فتعلمت منها أن الصلاة شيء لا يمكن أن نفرط فيه، وإن صار نبكي عليه.

وفي ليلة من ليالي أواخر الصيف كانت السماء صافية وكانت عمتي - زوجة أبي - وجدتي وبعض النساء جالسين في حديقة البيت، وكنت أنا طفلًا في الحادية عشرة من عمري، وقد استأذنت منهم لإحضار شيء من الداخل لأبي، وحينها رأيتها لأول مرة تلعب وسط الأطفال الحضور، فجلست أراقبها عن بعد، ومن حينها تعلق قلبي بها، وفجأة وجدت جدتي تنظر للسماء وتذكر الله وتقول: (سهيل أرعه ويني يا بنات أرعه)، تعني (انظروا) بالبدوي.

فأسرعت إلى جوار جدتي ونظرت حيث تنظر ولم أرَ في السماء غيره وكأنه بحجم السماء كلها - وكنت أول مره أسمع عن هذا النجم - ومن يومها وأنا عاشق لهذا النجم ولا أعرف ما سبب هذا الحب، ربما لأنه ارتبط معي برؤيتها.

وبعد يومين انتهت رحلتنا وعدنا إلى بيتنا في المدينة وكنت أبحث عنه ولم أجده في ضوضاء ووهج المدينة، فأحسست إحساسًا غريبًا بالوحشة لسهيل؛ لأنني وأنا في القرية أحسست

أن هذا الشيء أو أن هذا النجم يخصني، كما أحسست أيضًا أنها تخصني، وحشة لم أعرفها من قبل.

وبعد مرور عام رجعت مع أبي للقرية ثانيةً، فرأيتها في المزرعة المجاورة تلعب مع أترابها، فدق قلبي لها كما دق من قبل، ولم أستطع أن أتوقف عن التفكير فيها.

وبينما أنا مع أبي في أرضنا نتجول، لفتت نظري نبتة غريبة، فسألت أبي عن تلك النبتة، فقال: هذه نبتة سهيل. وكانت هذه ثاني مرة أسمع هذا الاسم فيها.

فارتبط معي سهيل برؤيتها، فكنت أرافق أبي في أغلب زياراته للقرية، علَّني ألمحها عن بعد أو أرى سهيل.

وكبرت وقد نما حبها داخلي، وصرحت لأبي أنني أود خطبتها، لكنني علمت أن ذلك من الاستحالة، كونها ستتزوج من ابن عمها حسب العرف، ولم أصادفها ثانية وعلمت بعدها أنها تزوجت، وبقي سهيل آخِر وليف لروحي، وشق لها وكأنما خُلقتْ من أجلي وخلقتُ أنا لها.

وهكذا حالت الظروف والعصبية القبلية دون زواجه منها.

وكان كلما ذكرها دخل في نوبة من الهذيان، وتغيرت نبرة صوته وانفرجت أسارير وجهه ودمعت عيناه طيلة حديثه عنها، رغم أن قصة حبه لها قد مر عليها ما يقارب الخمسون عامًا، والغريب أنه لم يذكرها باسمها قط، فكان دائما ما يقول (حبيبتي)، فهو يريد أن يشبع لسانه وسمعه وسمعي أنا أيضًا بها، وكأنني عندما أكون في حضرته، يريد أن يقولها للعالم أجمع بعدما أجبرته الحياة أن يكتم شعوره كل هذا الوقت، فليس من حقه أن يتلفظ به أو حتى أن يحدث عنه.

فعند نهاية الرحلة سيسقط من ذاكرة قلوبنا كل شيء إلا إحساس - بكر - زُرع بالقلب ولم تستطع سنوات العمر أن تقتلعه أو تنال منه.

وتذكرت قول نزار قباني:

(الرجال في الشرق ولأسباب لا علاقة لها بالحب، لا يتزوجون حبيباتهم ولا يحبون زوجاتهم).

الحب ليس روايةً شرقيةً

بختامها يتزوَّجُ الأبطالُ

لكنه الإبحار دون سفينةٍ

وشعورنا أن الوصول محالُ.

ودعته وهو في حالته تلك، وأنا في غاية الاشفاق عليه وعلى نفسي أن أؤول لما آل إليه إن لم يجمعني القدر بمن أحببت.

(أبغض الحلال)

الزوج الحاني أبٌّ ثانٍ

فمن فقدت زوجها بموته فإنَّما قدِّر عليها اليُتم، لكن أن تختار هي ذلك بطلب الطلاق، كيف؟!

حتمًا وجدته ليس أبًا وليس حانيًا، عندها فقط - باختلاف المعطيات تنفى النتائج - زوج جاحد قاسي لا يكن أبدًا أبًا، وأنَّى له حينها القوامة عليها.

عندها تختار المرأة أن تتحمل المسؤولية كلَّها، وتواجه الحياة بكلِّ معتطفاتها وانكساراتها بمفردها.

فما الذي قد يدفع المرأة لهذا الخيار المرِّ؟ خاصةً وإن كان هناك أطفال فحتمًا ستعاني.

العديد والعديد من الأسئلة التي جالت بخاطري وأنا في طريقي إليها، كنت أضع الكثير من الاحتمالات كي لا أتفاجئ بردودها، وحتى أستطيع أن أقيم عليها الحجة، عليَّ أن أثنيها عمَّا أقدمت عليه، فأنا على يقين من أنَّ (أبغض الحلال) إن كان اليوم حلًّا لعُقدنا ونهاية لمشاكلنا كما نتخيل، فغدًا ستنعقد بسببه شتَّى العُقد، وتتوالى على أثره المشاكل التي لا نهاية لها، ككرة الثلج التي نلقيها عابثين بها، ظانين أنَّنا قد تخلصنا منها، ولا ندري

أنَّه سيزداد حجمها بمرور الوقت حتى تحجب عنَّا الضوء فنتخبطُّ في الظلام.

صديقتي الجميلة المثقفة وذات الابتسامة الدائمة كما نعتها كل من رآها، لكن كم من مبتسم وقلبه منكسر، وكم من ضاحك وجرحه نازف!

ابنة الأفاضل شريفة المنبت، عريقة الأصول التي نال منها الزمن ما ناله ولم يقع طيرها على من هو من شاكلتها.

تمت خطبتها وعقد قرانها وبُني بها في غضون أشهر، فقد كان على عجل؛ لأنه لديه التزامات وسفر، أجلت لأجله استكمال دراستها العليا وتركت عملها ببلدها لتلحق به، عاشت في بلاد الجليد معنى ومجازًا، فليس جليد الطقس فقط، بل برودة التعامل والمشاعر، وقالت يكفيني حبه!

ضحَّت لأجله فخذلها وما كان لي من مدخل لها لأثنيها عن قرارها بشأن الانفصال عنه سوى أن أعزف على وتر حبها له علها تتراجع، فهناك أطفال صغار حتمًا ستعاني.

قصدتها في فيلا والدها بعد أن أخدت منها موعدًا مسبقًا للزيارة.

تلك الفيلا ذات الطراز المعماري الفخم، أنيقة البناء كقاطنيها، وكنت لم أزرها في منزل أبيها منذ ليلة زفافها التي أقيمت بحديقة هذه الفيلا في إحدى ليالي يونيو منذ عدة سنوات، وكأنما كتبت على هذا الشهر النكسات.

كانت الساعة تقترب من الحادية عشرة صباحًا وكنت قد وصلت لباب الفيلا فاستقبلني البواب قائلًا: مرحبًا دكتورة (ريم) تفضلي، دكتورة (راندا) في انتظارك.

ودلجت بممر داخل الحديقة ينتهي لسلم الفيلا، وكأنما الفيلا مثلها رغم جمالها قد كساها الحزن وخيم عليها السكون.

كانت راندا في انتظاري كعادتها بابتسامتها الجميلة وقد تهلل وجهها - رغم حزنها - لرؤيتي وكانت والدتها تجلس على مقعد بجانب النافذة تنظر على عصافير الحديقة وهي تصطف خلف الزجاج، فمنذ وفاة والدها قبيل زواج راندا بسنوات وأمها تعيش هنا بمفردها بعد زواج ولديها وإقامتهما بخارج الفيلا.

ألقيت السلام على والدتها وصافحتها في حرارة، فلم أرها منذ سنوات.

وكان أبناء راندا بحجرتهم في الدور العلوي.

دلفت خلفها لحجرةً بالدور الأرضي وجلست راندا على كرسي ملاصق لكرسيَّ، وأومأتْ إلي وكل نظراتها تتوسلني ألا أفتح معها موضوع زوجها، فأنا أعلم أنها قد عزمت الطلاق منذ أكثر من عام، والمحامي يستكمل الإجراءات، وقد وصلني أنها قد تنازلت له عن كل شيء مقابل حريتها وأولادها.

حاولت أن أدخل لها من طريق آخر فسألتها في ترقب: هل حقًّا أحببتِه؟! وأنا أعلم بأنها كانت تحبه، ولكنه خدعها بشخصيته المزيفة وأسلوبه المنمق وكلامه المعسول فغُشي على بصرها.

قالت في حسرة: نعم، حالة الحبِّ هذه ألزمتني عمرًا من السعي لبلوغها؛ فالحبّ أكبر معركة نفسية قد نخوضها، وقد قدمت له من التضحيات ما يكفي لأجعل منه خائنًا لي، وقد كان.

وكأنما العطاء الزائد يشعل فتيل الخيانة.

وكل شيء في الحب يغفر إلا الخيانة.

وكل عيب من الطرف الآخر يُحتمل إلا الخيانة؛ لأن الخيانة طبع، والطبع يغلب التطبع.

والأنانية أن تصر على الاحتفاظ بكل شيء - الشيء ونقيضه - امرأة تحبك وامرأة أخرى أنت تحبها.

فقد ظننت خطئًا لفترة أنه قد رجع لي وأخلص لحبي،

لكن ما رأيته بعيني هذا اليوم على الشات يؤكد لي أن علاقته بتلك المرأة ما انقطعت ليوم واحد وإلا ما كان كلامهما معًا يحمل كل تلك الأُلفة والحميمية، كل ما في الأمر أن تواصله مع تلك المرأة كان مستترًا بعيدًا عن نواظري.

فتعلقه بتلك المرأة لسنوات ما كان لينقطع بين عشية وضحاها، والرجل إذا تعلق سيظل موصولًا، فذاك إدمان، فليُوفر على نفسه جهد المداراة وإثم خداعي وليكمل ما بدأه، فما عاد يعنيني أمره، فقد بلغ اشمئزازي منه مَداه، وسأوفر على نفسي التعلق بحبال دائبة، فمن المحال أن تعود الثقة لمحلها مرة أخرى إذا فُقدت.

واستكملت:

فنجوت من بين فكَّي الحبِّ لأقع بين فكي الغدر، فتوسدت خيبتي واستكنتُ لأثبت للفراق أنني في كنفه أكثر راحة،

فأردع حزني، وضمني إليه ماسحًا على رأسي، فصار قلبي ابنًا للفراق بالتبني، لكن أبناء التبني على عكس أبناء الصلب يحقد

بعضهم على بعض، فلماذا أنت تنجح في النسيان حيث أخفق أنا؟

فلم يؤذني أحد مثل من هم أخوتي في الفراق، فكلما هممتُ بالنسيان ذكروني.

والحبُّ كما النسيان جريمة، لكن مقترف جريمة الحب يُمنح صكَّ البراءة، في حين أن مقترف جرائم النسيان يجازى بتوقيع أشد العقوبة، ألا وهي أن يضعوك في أرض ملغمة بالذكريات.

أنصتُّ إليها وقد انعقد لساني، كيف أراجعها في هذا الكم الهائل من الهموم الذي لو حمله جبل لخرَّ متصدعًا، ولو اختلط بماء النيل العذب لجعله أُجاجًا!

ثم انهارت باكية:

اكتفيتُ به وما اكتفى بي!

ما رأت عيني غيره ورأى غيري!

عشرة أعوام من الحبِّ، من العطاء، من الصبر، ولم يشعر ولم يُقدر!

ليس في العمر متسعٌ للمزيد من البذل، وليس في الصدر متسعٌ للمزيد من الصبر.

غسلت يداي منه منذ زمن

فلا فائدة فيه ولا فائدة منه.

عَثْرَة بطريقي بل زَلَّة..

سَقْطَةٌ ولكلِّ جَوادٍ كَبْوَة، ولا أريد رؤيته أو حتى سماع صوته.

ما لي بصوتٍ كالفراتِ العذبِ

أمسى أجاجًا إذ يبوح بقلبي؟

ما لي بطيفٍ كان يومًا مؤنسي

قد صار يوحش إنْ رأيته صوبي؟

ما لي بفيضٍ من شعورٍ طاهرٍ

نقَّى الفؤاد ولم يدنس ثوبي؟

ما لي بعمرٍ قد قضيته شاردًا

والحبُّ لا يخفى فكيف أخبِّي؟

ما لي بحبٍّ قد نظمته أحرفًا

أُلقى لحُسنِ جماله بالجُبِّ؟

فكذا الحياة لا تدوم لحالها

إن تُدنِ يومًا بالفراقِ ستُنْبي
أحرقتُ حرفًا ذات وهمٍ صغته
بل زلةٍ والآن بؤتُ بذنبي.

صدقت، فإن المرأة لا تتوقف إلا عندما تتعب، ولا تواجه إلا عندما تقرر أن تفارق.

ثم تابعت:

ما كان يعلم أنني أعلم خفاياه لكثرة ما تغافلت،

أنا أعلم منذ بدأ، ولكن لم أواجهه إلا عندما قررت أن أنسحب.

لا أدري كيف كان ينظر في وجهي ويخون؟!

لا أدري كيف كنت طوال هذه المدة أعلم بخيانته وأتغاضى؟

وحيال ما بدا مني من عدم رضوخ، خرج عن صمته وجاهر بما أخفى لسنوات، وأجهز على ثمار روحي ليحصدها، واختبر فيَّ سطوة رجولته وعنفوان جبروته فلم يبق مني ذرة تحبه، فقد أورثته حياته المنفتحة وقاحة وصقل كبرياؤه استسلامي الدائم لأوامره.

تركت له الحبل على غاربه، إلى أن أتى بما أخرجني عن صمتي.

كم صمدت في وجه الأزمات، ليس حبًا له، إنما تحدياً لذاتي، فكنت أكثر وجعاً من أن أبكي وأكثر جرحاً من أن أستسلم، فلمن أعري ضعفي؟!

خرجت من عندها موقنة أن ما شرع الله الطلاق عبثاً وأنه ليست دائماً النساء _كما كنت أعتقد_ يكثرن اللعن ويكفرن العشير وان هناك من النساء من هن أرجح عقلا وأسلم رأياً

وكم رجلٍ ناقص العقل قليل المروءة مضياع لمن يعول

فزوجها هذا أعرفه، سبحان الله لا هيئة ولا شكل ولا قبول ولا أسلوب، وفوق كل هذا لا يوجد أخلاق أيضًا!

سبحان الله، (حرمان كلي) إلا من بعض الشهادات العلمية التي عجزت عن ستر كل هذا النقص.

وكأنما جبل على القبح.

(لحظات فارقة)

دخل دكتور (أحمد رشدي) - أستاذ علم النفس بجامعة القاهرة - ذلك المدرج الممتلئ بالطلبة، فهو أستاذ متمكن من مادته، محبوب من قِبل الطلبة على مدار كل الدفعات واستهل كلامه بقول محمود درويش:

"هل كان علينا أن نسقط من عُلُوٍّ شاهق، ونرى دمنا على أيدينا لنُدرك أننا لسنا ملائكة كما كنا نظن؟"

أحيانًا تتعطل مسيرة حياتنا؛ لأننا لم نخرج بالصورة التي رسمناها عن أنفسنا، حتى تأتينا لحظة كاشفة، تُضيِّق علينا حتى نرى ذواتنا الحقيقية كم هي بعيدة عن الصورة المثالية التي حملناها في خيالنا.

هذه اللحظة الفارقة هي امتحان الإنسان، إما أن يقبل محدوديته وأخطاءه، وإما أن يرفض ضعفه، فيعيش متخفيًا عن نفسه، غير قادر على تصديق ذاته، وبالتالي عاجز عن تصديق الآخرين.

فمن يرى ضعفه بصدق، يستطيع أن يفهم ضعف الآخر ويتعايش معه، ومن يختار الصدق والمحاولة، ينجو من فخ المثالية الزائفة أو التمرد الدائم.

لحظة انكشاف الإنسان أمام نفسه صعبة، كما وصفها درويش، لكنها حتمية الحدوث، فلا أحد ينجو من الغبار.

يمكن أن تكون اللحظات الفارقة محفوفة بالتحديات، حيث تُكسر الفرد ليعيد تشكيله من جديد، وتتطلب منه اتخاذ قرارات حاسمة، وعليه ستكون لحظة تحول جذري.

فعلى المستوى الشخصي قد تكون اللحظة الفارقة قرارًا حاسمًا يتخذه المرء لإنهاء علاقة سامة، أو اكتشاف حقيقة صادمة تكشف عن طبيعة العلاقة، أو لقاء شخصية مهمة تركت أثرًا.

وعلى المستوى التاريخي أو الكوني تُعد لحظة ميلاد شخصية تاريخية مهمة لحظة فارقة في تاريخ الكون.

وغالبًا ما ترتبط اللحظة الفارقة بحدث إيجابي أو قد تكون أيضًا نتيجة لصدمة أو تجربة مؤلمة.

وفي نهاية المحاضرة طلب د. رشدي من كل طالب أن يقدم له بحثًا يسرد فيه أكثر لحظة فارقة في حياته، على أن يكون تسليم الأبحاث له بحد أقصاه آخر نوفمبر الجاري.

فقام أحد الطلبة مهللًا بصوت عالٍ:

- محاضرة دكتور رشدي لحظة فارقة ولا شك.

فعلا التصفيق واختلطت الأصوات وازدادت الهمهمة والأحاديث الجانبية والضحكات.

حينها ضحكت نورهان هامسة لصديقتها الملاصقة لها في المقعد:

- بيثبت الدكتور، كدا ضمن درجة البحث.

نورهان تلك الفتاة الذكية الجميلة التي تركت بيت والدها بمحافظة البحيرة منذ ثلاث سنوات لتقيم هنا بمنطقة المنيل حيث منزل جدها لأمها، وذلك بعد التحاقها بكلية الآداب قسم علم النفس، وهي ابنة على ثلاثة إخوة ذكور، وقد تمت خطبتها منذ شهور لشاب خلوق مهذب ومعتزٍّ جدًا بنفسه ويعمل مهندسًا معماريًّا بأحد المكاتب الهندسية بالجيزة.

والطرفة، أنه قد جمعتها به الأقدار بعد مشاجرة نشبت بينهما نظرًا لتصادم سيارته بسيارته بسبب الازدحام المروري في وسط القاهرة، لكن ما محبة إلا بعد عداوة كما يقولون.

وما أن دخلت نورهان غرفتها راحت تسترجع سنوات عمرها العشرين وتتساءل وهي الأعلم: أي لحظات حياتي كانت فارقة بحق؟

وأمسكت بقلمها وأطلقت لداخلها البوح فكم كانت بحاجة لمثل هذا الاعتراف المدون ولربما في الفضفضة تكمن بعض الراحة.

وراحت تكتب:

"ببعض القلوب كرسي للاحتياط أيضًا، حذارِ أن تكون حبيسة.

لا يوجد رجل يستحق أن تفقدي كبرياءك وكرامتك لأجله.

قلبكِ تحت قدميكِ

وحبكِ خلف ظهركِ

ومن باعكِ لا يُباع، بل يُترك بلا ثمن.

تخلي، فمن ترك ملك.

كنت أتمنى يومًا أن أراه عاشقًا

تُرى كيف سيبدو لو لامس الحب قلبه؟

ظللت أمني نفسي بهذا اليوم، ويُخيل إليَّ لمعة عينيه، ارتباكه، مراهقته المتأخرة، أفعاله الصبيانية من مطاردة ومراقبة، وتتبع وتعمد لفت الانتباه والمشاكسة والملاطفة وإظهار التشابه والتقليد، فهذا حال من يحب ولا غرابة.

انتظرت، لكن ليس بالوقت الطويل، فسرعان ما تحقق لي ما تمنيت - لكن ليس تجاهي - فقد وقع في حب غيري، فرأيت ولهه ولهفته، اطلعت على ضعفه وارتباكه، رأيته وهو الذي لا يجيد الحوار كيف كان يختلقه ويطيله، كيف ينصت بالساعات لهوفًا مستمتعًا مهتمًا بأدق التفاصيل، وهو الذي كان لا يُلفت نظره أي شيء!

كان يبقيني بجواره، لا لأنه يحبني، بل لأنه لا يريد أن يفقد حبي، فهو يدري مدى تعلقي به.

هكذا بعض الأحلام تجهض

وبعض الأماني تُوأد

وبعض المشاعر ليتها لم تُوجَدْ".

هكذا دونت في دفترها ثم واصلت:

"انسحبتُ في هدوء، وقررت أن أغادر بلا عودة، كفاني ما لقيت، لن أراعي من لا يرعاني، ولن أهتم بمن لا يراني.

وظننت أنني قد ملكت فؤادهم

واليوم أيقنت الحقيقة الضائعة

أهديتهم بستان قلبي يافعًا

ما أجمل الإحساس، بل ما أروعه

ثم استدرت لست أحسب غدرهم

من باع عمري زاهدًا؟ من ضيعه؟

أوهبتهم كل الورود، فأنبتوا

شوكًا بقلبي مدَّ حولي أذرعه!

أين الأمان وسيفُ غدرٍ طاعن

في الجرح أسقاه الأنين وجرَّعه؟

ما أحزن القلب الذي ذاق النوى

ما أصعب الخذلان بل ما أوجعه!

كم من وجوهٍ قد حسبتها عاشقة

واليوم سقطت عنها تلك الأقنعة
مذ فزَّعوك كرهت بادرة الهوى
وذكرت أيام الفراق الموجعة
وقبضت من أثر الجراح بقبضةٍ
فنذرت أنه لا مساس لأضلعه
يحتاج غيمًا أمطرت أنداؤه
يحتاج حبًّا صادقًا كي يرجعه
عاد الفؤاد آمنًا في سربه
والسلم كلُّ السلم يملأ مخدعه
ولسوف يأتيه الهوى متلهفًا
فأترك له أبواب قلبك مشرعة
ولئن ناداك فقم ولبِّ نداءه
وأجمع شتاتك آمنًا وارحل معه
ولئن أتتك ذكرى جرحٍ سالفٍ
فأغلق دفافه محكمًا بل وأصفعه.

لكنه سرعان ما عاد

يبدو أنه لم يجد من ستحبه كما أحببته

فعاد ليقف ببابي، ليس حبًّا، بل احتياجًا لما أمنحه من حب، لكنني وإن كنت أحبه فقد فقدت في قربه الأمان.

وكان كلما هم أن يعاودني، عاودني الألم والخوف من أن يخذلني مرة أخرى، وأتذكر كيف تخطيت ألمي يوم ذبحني غدرًا وأراق دم حبي غير مبالٍ بما قد أصابني من انهيار عاطفي.

(احذر حبيبك ألف مرة فهو أعلم بالمضرة).

أصابني فوبيا القرب منه، أتذكره بيني وبين قلبي فيسيل دمعي حنينًا وجرحي دمًا، وكلما عاد ليقترب مني انتابني الذعر

فصار مصدر ألم وقلق وتوتر وهو.. من هو؟

كان ملاذي الآمن، وراحتي وطمأنينتي ومستراح قلبي ونصيبي الأحلى في الدنيا، أما الآن فقد ارتبط حبه ورؤيته وسماع صوته بالنسبة لي بالوجع، فصار الأضداد لكل هذا، فعزمت ألا أعود له مهما حاول لأحافظ على نبض حبه في قلبي، وهو ما زال يتعمد جرحي واستثارة غيرتي كلما حاولت البعد.

يا وخزةَ الروح، يا غصةَ الحلق، يا حسرةَ النفس، يا مضغةَ القلب يا دمعةَ العين، ليس بالتمني يعود الراحل ولا بالاستجداء يدوم الحب.

قديمًا افتقدتك

واليوم فقدتك

يا خسارتي الرابحة.

فكنت أبرر لنفسي إعادة جرحه لي كلما صددته قائلة: هو يفعل كل هذا لأنني رفضت أن أعاوده، إذًا هو ما زال يحبني، فلو كنت عاودته لما فعل.

حجة المهزوم، وقشة الغريق، وأمل من حاوطه اليأس، وصحوة الموت لمن قتله حبيبه بدم بارد بعدما صدمه خطأ، وبدلًا من أن يسعفه أجهز عليه دهسًا ليتأكد من خروج روحه، ثم تركه ينزف حتى الموت، وتولى مواريًا ظهره.

قتل عمد مع سبق الإصرار والترصد، والفاعل معلوم والضحية ترفض اتهام قاتلها، بل تُحلُّه من دمها.

أي شيء أورثها الحب سوى الضياع؟

وأي شيء أورثه الانتقام سوى تضييع من أحبته؟

لكنني لن أستند لكتفٍ أسقطتني مرة تلو الأخرى، ولن أحنَّ لقلبٍ لم يرني يومًا حبيبة، قررت أن أترفع، أستغني وأغادر في أنفة وكبرياء.

فكفاني والله ما عانيت، ووسعني والله ما لاقيت

الله لمن خُذِل، الله لمن بِيع، الله لمن غُدِر به.

وعلى أريكة الحبِّ جلست أنتظر الأمل من جديد

جلست أترقب المجيء المباغت، القدوم المفاجئ، الحضور الأخَّاذ، اللهفة الطاغية، النظرة التي لا تردُّ، النبض الذي لا يهدأ.

لكن رغم ترقبي وانتظاري، مرَّ بها الحبُّ ولم أعرفه، جاءني متنكرًا في ثياب التجاهل لا المراعاة، العجرفة لا اللهفة، المجافاة لا الملاطفة..

أتى كعهده لمن ينتظره، أتاني من حيث لا أحتسب وفي الوقت الأقل توقعًا وعلى النحو الأكثر غرابة.

جاء كعادته مخالفًا لكل التوقعات

جاء ولن يغادر أبدًا

أما الآن وبعدما أحببتُ حقًا

اهتديت أن شعوري نحوه لم يكن حبًّا، بل حمًى أصابتها وشُفيت منها.

تعلمت أن أتداوى منه به - ولا عجب - ففي بعض الأذى شفاء.

(ولعلَّ أبلغ ما أعلَّك ما شفاكا!).

أما من أحبني فحماني بخوفه، رعاني بعطفه، شملني بحنانه.

كان رجلًا على قدرٍ عالٍ من النبل، من الرجولة، من الشهامة، من النخوة، من الإخلاص.

رجلٌ يتباهى به الحبُّ ويُتوجه الوفاء.

رجلٌ نادرٌ أحببته حدَّ العقل لا حدَّ الجنون.

رجلٌ دخل الحبَّ أنيقًا جميلًا سخيًّا معطاءً حنونًا.

(علمتُ في صحبته مدى ضالة ما في حوزة ذلك المفلس).

(وغدًا يدركون كم كانوا أثرياء بحبنا حين تصيبهم الفاقة، فيعيشون كفافًا لا يملكون حتى قوت قلوبهم، وتجب عليهم حينها زكاة الحب وصدقته، ليسدوا جوع قلوبهم لكن لن يصلوا للشبع أبدًا، من مثلهم سيعيش ويموت من الجوع حبًّا).

انتهت نورهان من تدوينها ثم قالت:

لحظتان فارقتان في حياتي

(لحظةٌ أماتت ولحظةٌ أحيت)، وكلتاهما لن يَصلحا للبحث

فلتكن اللحظة الفارقة التي ستقدم للبحث هي لحظة دخول دكتور رشدي لنا المحاضرة حتى نضمن الدرجة كاملة.

(قطعة جاتوه)

من منا لا يحتاج إلى صدر حانٍ يرتمي به عندما تضيق به الحياة؟

(فكثيرًا ما نحتاج إلى من يفهمنا ويكون بالقرب منَّا عندما تخور قوانا وتنطلق ألسنتنا بخبايا نفوسنا فنبوح بأسرارنا بلا حرج ولا كلفة!

إنه النصف الآخر الذي يُكملنا ويتممنا ويملأ فراغ عواطفنا فتكتمل الروح وتدب بالجسد الحياة، وكيف للجسد أن يعيش بنصف روح؟!

ستكون حالة من البين.. بين لا حياة تُريح ولا موتٌ يُريح.

حالة من اللامبالاة والشعور بالوحدة والاكتئاب غالبًا)

اعتدل (وحيد) في جلسته عندما سمع طرقًا على باب غرفة نومه، إنها (جنى) ابنته ذات الخمس أعوام قد

دخلت غرفته مناديةً: هيا يا أبي، عيد الميلاد سيبدأ، كل شيءٍ جاهز.

عيد ميلاد ابنه الأصغر (كريم) الذي يحتفلون به معًا في الحادي عشر من نوفمبر من كل عام دون أن يدعون له أحدًا من خارج الأسرة.

قام ليمثل دوره المتقن كأبٍّ والزائف كزوج، فقد بلغ منه الملل منتهاه، اليوم مثل البارحة وغدًا مثل أمس..

حياة نمطية وروتين سخيف، لا جديد.

جسد بلا روح.

كيان أجوف.

شبح إنسان.

يفتقد من يمنحه الحب رغم شدة احتياجه.

مشاعره ظمأى وبحاجة لمن يرويها.

عواطفه تفتقر لمن يُغدق عليها الحب فيغنيها.

إنه (الفراغ العاطفي)، ذلك الشيء الذي مهما اجتهد في إخفائه أو إنكاره فلن يفلح.

كيف والملامح تصارح والشوق فاضح؟!

وقف مبتسمًا لتكون الصور الملتقطة نوعًا ما طبيعية لأسرة سعيدة.

وجاء ابنه (كريم) له بطبق به قطعة جاتوه وتورتة وبسبوسة، لكنه وضعه جانبًا متعللًا بأنه يتعب من الأكل ليلًا.

والأصل أنه يمارس نظامًا غذائيًّا قاسيًا متعللًا أمام زوجته كلما سألته عن قلة أكله وفقدان وزنه أنه يعاني من آلام بالقولون، بينما هو يذهب إلى الجيم ثلاثة أيام أسبوعيًّا ليصل إلى درجة رشاقة تتماشى مع دوره الجديد كحبيبٍ يحاول أن يلفت نظر محبوبته ذات الخمس وعشرين عامًا.

هل يُجيز له فراغه العاطفي ومروره بأزمة في منتصف العمر ما يقوم به من مطاردة فتاة تصغره بنحو ثمانية عشر عامًا لكونه يشعر تجاهها ببعض المشاعر؟!

هل تُعد محاولته للفت انتباهها بتصرفاته الغريبة المتناقضة من اهتمام زائد يعقبه تجاهل تام واختلاق الصدف بكل مكان تزوره وكأنه عاد مراهقًا، هل يُعد هذا أمرًا مقبولًا من رجل جاوز الثلاث والأربعين من عمره ومتزوجٌ وأب لثلاثة أطفال؟!

هل برودة المشاعر بينه وبين زوجته تبرر له أفعاله تلك؟

وهل زوجته ستقبل بوضع كهذا لو علمت أنه ينوي الزواج بأخرى؟

ترددت تلك التساؤلات برأسه وهو يحاول أن يخلد إلى النوم وحيدًا في فراشه كعادته كل ليلة.

وزوجته منشغلة بالمذاكرة لأولادها وترتيب البيت كعادتها كل ليلة.

فيا له من اغتراب موحش ونحن نحيا سويًّا تحت سقف واحد نروح ونغدو في بحر من الحرمان.

فقد يكون الرجل في انشغال دائم، غارق في بحر من الأعذار الواهية.

أو تكون المرأة هي المتجاهلة لمشاعر زوجها، تصب جل اهتمامها على بيتها وأبنائها وكأن الرجل لم يعد بحاجة لحنانها وحبها.

فلا هو يحتضنها ولا هي تحتويه

والكل في الإثم سـواء.

وتمضي السنوات وقد ذبلت ورود المحبة وبردت مشاعر المودة وخيم الصمت وساد الفتور، وتصبح الحياة خاوية روتينية بلا مذاق!

فحذارِ ثم حذارِ من التجاهل المتعمد أو الغير متعمد لمشاعر شريك حياتك، فما أصعبه امتهان الشعور.

لا تتركوا أماكنكم بقلوب أحبائكم فارغة، فللفراغ العاطفي آثار وتبعات غير محمودة العواقب.

فالمرأة إن هي أحست ببرودة المشاعر فغالبًا ما تجد العوض عنها بالداخل، فتغدق من مشاعرها على أولادها فتستدفأ بحبهم لها وحبها لهم.

لكن الرجل غير المرأة، فهو إن أحس ببرودة المشاعر فسيبحث عن دفئها بالخارج وسيجد البديل، إما أن يغرر هو بأخرى، وإما أن تغرر به أخرى، وما أكثرهن المتربصات لأمثال هؤلاء.

هو يدرك تمام الإدراك أن شعوره تجاه (روان) تلك الفتاة الجميلة الذكية الأنيقة التي انتقلت للعمل معه بالمكتب الهندسي منذ شهور ليس شعورًا عارضًا أو كاذبًا أبدًا،

إنها حالة خاصة ونادرة أن التقاها.

حالة لم تمر به قبل ولن تمر به بعد كلُّ ما مرَّ به قبلها وكان وهمًا.

وكلُّ ما سيمرُّ به بعدها تيه وضلال.

لحظة إبصار بعد عمى.

وأُنس بعد وحدة.

وإدراك بعد جهل.

ووصول بعد تيه.

واهتداء بعد تخبط.

وإيمان بالحب بعد إنكار.

❤ هي لحظة تفعيل مفتاح ما بالقلب ليدرك الحبَّ❤

ما السر المودع في عينيها حين يُطالع وجهها؟

أهو الحبُّ المجسد في ملامحها وعينيها وصوتها؟

أم هو السحر وقد جُمع كله في امرأة؟

فالحبُّ في الأصل هي.

والجمالُ هي.

والسحرُ هي.

فيا لضيعة عمره إن أضاعها!

وكان (وحيد) قد تزوج منذ عشر سنوات من جارة له زواجًا تقليديًّا وأنجب منها أبناءه الثلاثة، أكبرهم أحمد بالصف الرابع الابتدائي، وأوسطن جنى وأصغرهن كريم ذو الثلاثة أعوام.

كانت زوجه - لسوء حظه - امرأة عنيدة ومتسلطة، فمنذ عامين تركت صغارها الثلاثة ما بين طفل ورضيع لمجرد خلاف بينهما، وهجرته لبيت أمها ما يقارب العام، من أي صلب خلقت مثل تلك القلوب؟ فلم تثنيها أمومة أو تردها فضيلة أو يعيدها عن رأيها أمر زوج ما كانت يومًا لتعطيه حقه من لزوم طاعة أو امتثال أمر، وهو مغلوب على أمره، وبيته الذي لا يدخله سوى أقاربها هي فقد همش وأهله منذ البداية، ومن أضاع حقه بيديه فلا تأسى عليه. لكنه يحب أولاده درجة التضحية لهم بكل شيء، فهم نقطة ضعفه.

عاشا زوجين شبه منفصلين في بيت لم تسكنه يومًا مودة ولم تظله رحمة، بيت لم يكن يومًا بسكن لكلا الزوجين ولا لأولادهما.

شخصية صلبة كقلبها، عنيدة بطبعها، وزوج تُهاون في حقه فهان!

لا توجد امرأة قوية إلا إذا وُجد رجل يضعف أمام قوتها.

لا توجد امرأة عنيدة إلا إذا وُجد رجل لا يدافع عن رأيه.

والخوف كل الخوف أن تعرف المرأة لزوجها نقطة ضعف.

قديمًا تزوج ليُرضي والديه ويبني أسرة وينجب أطفالًا،

لكن أين نصيب قلبه من تلك القصة؟

لم ينل القلب نصيبه حتى الآن، ولم يدق قلبه لفتاة منذ أن بدأ قلبه ينبض لروان.

كم صادف - لطبيعة عمله - نساءً، ولكن كلهن في نظره كنَّ سواء، لم يشغل باله سوى تلك الرشيقة ساحرة الطلة رقيقة الإشارة خفيفة الظل ضاحكة السن روان.

كان صباحًا غريبًا منذ بزوغ شمسه وقد استقل وحيد سيارته الفخمة متجهًا نحو عمله.

وما إن وصل مكتبه إذ بوجه حبيبته روان يطالعه وهي تجلس في مكتبها أمام الكمبيوتر.

وما أن جلس وحيد في كرسيه إذ بعامل البوفيه يُحضر له علبة بها قطعة جاتوه وبعض الحلويات الشرقية مهللًا في فرحة:

بمناسبة خطوبة أستاذة روان، العقبى لأولادك يا أستاذ وحيد.

وقع الخبر عليه كالصاعقة، وكأني به وقد وقع فجأة من قمة جبل شاهق مرتطمًا بصخرة في قاع هوة عميقة.

على مدار سبعة أشهر يحبها في خياله دون أن يسأل نفسه للحظة: هل هي تشعر بذلك أو هل من الممكن أن تقبل به؟

كان وهمًا علا به ثم انخفض حلمًا عاشه وحده والآن أيقظته الحقيقة.

نظر إليها خلف الزجاج الفاصل بين مكتبه ومكتبها

وقد بدت ملامحها غريبة عليه فلم تعد كالسابق

ولسان حاله يقول:

فقدتُ شغفي كما فقدتي بريقكِ

أنكرتُكِ وأنكرتُ نفسي.

وحَّدنا الغموض وفرقنا الوضوح

وحَّدنا البعد وفرقنا القرب

جمعتنا الضبابية وفرقتنا الشفافية.

وافترقنا!

ولم نكن بالأصل اتحدنا، فكل ما بُنِي على باطلٍ زائل.

وافترقنا!

وقد شاركتني فيكِ دنيا بأكملها.

وافترقنا!

بعدما افتقدتُ معكِ ذلك الشعور الخالص

الذي عشته اختلاسًا ولم يكن لي أدنى حقٍّ فيه.

وقاطع حبل أفكاره عامل البوفيه متسائلًا:

شاي ولا حاجة ساقعة مع الجاتوه يا أستاذ وحيد؟

فأمسك (وحيد) بقطعة الجاتوه يلتقمها في صمت دون أن ينطق بكلمة.

فقد رفض أن يتناول جاتوه عيد ميلاد ابنه بالأمس ليحافظ على رشاقته، فلا داعي للرشاقة بعد اليوم!.

(صندوق باندورا)

اقتربت شمس هذا اليوم الحار من أيام شهر أغسطس على الأفول، وكنت كعادتي في طريقي للعودة إلى منزلي بعد انتهاء عملي بمصلحة ضرائب المبيعات، والذي التحقتُ به منذ ما يقارب العامين بعد انتهائي من دراسة ماجستير القانون، فعُينت به وفق حركة تعيينات أُعلن عنها حينها، فقد أصبحت فرص العمل عامةً والعمل الحكومي خاصةً صعبة وعزيزة المنال، فهي تعتمد على ثقل سيرتك الذاتية وكمِّ الشهادات والدورات التي اجتزتها، وبها يكون التفاضل بين المقدمين لفرص العمل المختلفة، وإنْ كانت الوسائط والرشوات - التي مازالت تُعطى بدون حقّ لقضاء مصلحة أو إحقاق باطل أو إبطال حقّ - لها يدٌّ وباع في مجال التعيينات الوظيفية في مجتمع انحصرت فيه الفضائل وتفشت فيه الرذائل وانعدمت فيه المروءة، ولم لا وقد ابتعدنا عن الشرع وعن الشارع جلَّ وعلا، فمن ضلَّ الطريق فأنَّى يصل؟! وقد لَعَن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - الرَّاشِي والمُرْتَشِي والرائش، لذا فإذا تفشَّت الرشوة في مجتمع ضاعت الحقوق وأوغرت النفوس وترعرعت الأحقاد ولا ريب.

وما إن دخلتُ شارعنا أعرضت شرفة جارنا الأستاذ (كمال) الرجل الخمسيني رب الأسرة المكونة من ولدين وزوجة، والذي يسكن أمامنا منذ وعيت، وكان كعادته جالسًا بها وحيدًا يطالع جريدته في هذا الطقس الحار الذي نزح فيه الجميع إلى الجلوس إلى المكيفات والمرواح هروبًا من جحيم الصيف، وما إن اقتربتُ من مدخل عمارتنا إذا بسيارة إسعاف تقف بمحاذاة الرصيف، فداخلني القلق على أبي وأمي، لكن سرعان ما تبدد عندما رأيت زوجة الأستاذ كمال بصحبة ولديها أحمد وكريم تنازع أزمة قلبية حادة، فانتابتني الدهشة ووقفت أساعدهم حتى استقلوا عربة الإسعاف، ثم صعدت لشقتنا والحيرة ما زالت تمتلكني.

***

وجدت أبي جالسًا بالصالة يطالع نشرة الأخبار بالتلفاز، فألقيت التحية:

السلام عليكم يا أبي.

ردَّ أبي: وعليكم السلام، حمدًا لله على سلامتك.

قلتُ منزعجًا: زوجة الأستاذ كمال ذهبت الآن إلى المستشفى مستقلة عربة الإسعاف بصحبة ولديها، والغريب أن الأستاذ كمال لم يتحرك له ساكنًا، ما أعجبه هذا الرجل! ما الذي يمكن أن يستثيره إذن؟!

ردَّ أبي بنغمة فيها توبيخ: مالنا والناس؟! هكذا طبعه وكلنا نعرفه، وما بينه وبين أهله شيءٌ يخصهم فقط لا دخل لنا به، فلنحترم خصوصية غيرنا.

سمعت من أبي ولم أرد بكلمة، فهو معه كلَّ الحقِّ فيما قاله، أعرف أستاذ كمال بشخصيته المنطوية المنعزلة الساخطة التي أثارت انتباه وفضول كل الجيران، فلا تكاد تراه يحدث أحدًا أو يحدثه أحد، بل قلما تراه يخرج بصحبة أحد من أفراد أسرته أو يشاركهم جلسته بشرفته هذه.

أذكر من سنوات بعيدة أنه مرض ذات مرة، فزاره أبي وبعض جيراننا، فلم يخرج لهم ورجعوا صفر اليدين، وحين شبَّ حريق بمحل البقالة أسفل عمارتنا انتفض الجميع مهرولين لإطفاء الحريق إلا هو، كم حكى عنه الجيران وتلقفوه بألسنتهم محللين شخصيته الغريبة تلك، فحكى عنه عمي إبراهيم جارنا، وكان زميل دراسته وعمله قائلًا:

هو رجل - وأغلبنا ذاك الرجل - خدشته الحياة فنزف حدَّ الموت فمات طول الحياة، رجل عاش يتفقد منتظرًا ذاك الشيء الذي ينتسب إليه و يكمل به، فلما طال الانتظار توحد على نفسه وانطوى على جراحه، فكان بينه وبين محيطه فجوة عميقة فاحتال على ردمها بالبعد، فاختار منفاه مستعيضًا عن الوطن، وداوى جرحه بجرح أعمق، فقد قضى القدر أن يسلبه حنان أمه ومساندة أبيه ودفء وطنه، فاحتال على يتمه وغربته بأنْ لجأ مُصيرًا مستعيضًا عن ذلك كله بامرأة ظنًا منه بأنها ستمنحه ذلك الشيء المفتقد المفقود المرجوَّ المنشود، فتكون هي ذاتها ذاك الشيء - وكثيرًا ما تكون الأنثى وطنًا، ويا لتعاسة من غربته أنثاه - لكنَّه جاوز هدفه ولم يصبه، فقد كانت بعيدة عنه في كل شيء عدا المكان، واتسعت المسافة بينهما بمرور السنوات واستعمقت الهوة، وكالعادة في تعامله مع مشاكله عاد ليحتال أيضًا على طيِّ تلك المسافة وردم تلك الهوة بينهما بأولاد عساهما يقتربا، لكنهما بدلًا من أن يقتربا تباعدا أكثر وازدادت المسافة اتساعًا والهوة عمقًا، إلى أن وجد من تمناها قلبه فأشرقت شمسُ الحبِّ على جبينه، فرضي منها بالكفاف، لم يجد تفسيرًا، لماذا أحبها كلَّ هذا الحبِّ، رغم

فرارها منه وصدَّها له، فحتى القليل من الوصل حُرِمَه، ورغم وجود زوجته وأولاده!.

ربما لأنها المرة الأولى التي اختار بإرادته شيئًا لم يفرضه عليه أحد أو تجبره عليه الظروف، جُرح الرجولة أن تُصد، لكنه مازال يحبها، فهل يقبلها على نفسه؟

وانتقامًا لرجولته وتأديبًا لقلبه تحاشاها وتحاشى حتى سماع صوتها أو رؤيتها، ثم ما لبث أن هزمه حنينه فعاد ليسترق النظر والسمع علَّه يلمحها أو يسمع همسها، والرجال في الحبِّ كما في الحرب يفضلون الموت على الأسر، فكيف به وقد رضى في حبها رقَّه؟ ثم ما لبث أن ابتعد للأبد

فمن الحبّ من كره نفسه وكره من أحبَّ، إذ ربَّما نكره من كشفنا أمامه ضعفنا وتجردنا عن مشاعرنا، ورغم ذلك لم يرقَّ لحالنا قلبه.

كان حبه رغم صدقه مستحيلًا، ضاقت به الظروف والأمكنة والحلول، وتوالت حياته سلسة من التعقيد والاحتيال، حلقة تلو الأخرى فكادت تخنقه، وهو اليوم يحتال على تعاسته بالانطواء والبعد عمن حوله عائدًا من حيث أتى، متوحدًا على نفسه وكأنه عاد لينتهي من حيث بدأ وحيدًا، فلم يعد عنده

أمل في هذه الحياة التي ضنت عليه بالسعادة فلم يرَ فيها سوى الحرمان والوحدة والشرور، كان مثله مثل (باندورا) التي فتحت الصندوق فضولًا منها فأخرجت منه كلَّ الشرور، وأغلقته دون الأمل، لكن وجود الأمل بصندوق الفظائع دليل على أنه «زائف) وظهوره على شكل ضوء ما هو إلا شرٌّ مكسو بالمظهر الحسن - كما حكت تلك الأسطورة الخرافية - فقد كانت نظرته للحياة نظرة تشاؤمية من فرط ما لاقى فيها، لكن كان هروبه من المواجهة واتخاذه لأشباه الحلول والتحايل على ذلك، لا يحلُّ المشاكل بل يزيدها تعقيدًا.

ومرت الساعات وبينما أتناول العشاء برفقة أبي وأمي، إذا بصوت باب شقة أستاذ كمال يُفتح، فقد عاد أحد أبناؤه لتوِّه من المستشفى، والآخر تخلف ليرافق والدته التي تم حجزها هناك.

هكذا كان ردُّ كريم عندما خرجت لأسأله عن أحوال والدته:

قالت أمي في تأفف: الإنسان هكذا لا يرضى بحاله أيًّا كان، معه الأبناء والزوجة والصحة والمال، لكنه غير راضٍ! سبحان الله ما ينقصه ليسعد؟!

ردَّ أبي: القبول بما قسم الله والرضا بما منع هو سر السعادة.

ثم نظر أبي نحوي موجهًا حديثه لي:

يا بني، لا بد أن يكون في دنياك شيئًا يستحق أن تعيش له، شيء يعنيك أمره، شيء تنتمي له وينتسب إليه وجدانًا وفكرًا، شيء يسكن أعماقك وتنجذب أنت نحوه، وإن باعدته لمسافات أبدًا لا تغيبه، شيء تظل تبحث عنه طيلة حياتك، قد تجهل هويته، كأنك تشعر دائمًا بأنَّه ينقصك إلى أن يكشف لك عن ذاته، عندها فلن تشعر بالاكتمال دونه، هذا الإحساس الدائم بالانتساب نحو شيء ما، هو ما يمنحنا دومًا الدافع للحياة، ففي هذه الحياة لا بد من وجود شيء يستحق الحياة، وطوبى لمن وجد ضالته واهتدى قبلته.

(إنذار بالحب)

تلفتت حولها، المكان والزمان يعلوهما هدوء، أظنها استيقظت مبكرا، الضجيج إذا منبعه قلبها كان حلمًا مزعجًا نبهها وأقلق نومها، ما زال صدى الصوت في أذنيها.

بدأت تتذكر الحلم شيئًا فشيئًا، توجهت نحو النافذة وأشرعتها، فإذا بحمامة بيضاء تحمل رسالة، تطوف بشباكها، وما أن رأتها هبطت بجناحيها واستقرت بين يديها، فعمدت إلى الرسالة تقرأها

أحرفٌ معدودة، جملٌ مصفوفة بترتيب لغوي بليغ أحدث بداخلها فوضى عارمة: (مثلك لا شيء، مكانك لا يُملأ، يا خبزي ومائي وهوائي).

نفس الكلمات التي أيقظتها وما زالت تترد في أذنيها،

أيعقل أن يتوافق الحلم والواقع لتلك الدرجة من صاحب الرسالة؟!

توجهتْ نحو الباب، ثم عادتْ مسرعة نحو دولاب ملابسها، بدلت ثيابها وأسرعت ثانية نحو الباب لكنه كان مغلقًا بإحكام ولم تجد المفتاح، أخذت تفتش عنه في كل مكان، انتابها قلق

وتوتر وتعالت أنفاسها وتسارعت دقات قلبها، وإذ بيدٍ حانية تربت كتفها وتمسح على رأسها والصوت يتضح شيئًا فشيئًا:

ما بك؟

أكان حلمًا مزعجًا؟

أفيقي..

مثلك لا شيء، لا تخافي.

وعلت ضحكة

فتحت عينيها وتساءلت في دهشة وحيرة:

أو كان حلما يا أمي؟!

ضمتها أمها باحتواء وحنو:

(ولم الحزن يا ابنتي؟

أنتِ بالفعل لا شيء مثلك

وقد يكون الواقع يومًا أكثر من الأحلام جمالًا).

وانصرفت أمها مغادرة غرفتها

وجال بخيالها طيف حبيبها الذي لا تدري أيحس بشعورها نحوه أم لا؟

وتنهدت بعمق ثم نظرت بجوار وسادتها، فإذا بكتاب:

(من رسائل غسان كنفاني لغادة السمان) كانت تتصفحه قبيل نومها ففتحت الكتاب فإذا برسالة - لأول مرة تقع عليها عينيها - يقول فيها: (مثلك لا شيء، مكانك لا يُملأ، يا خبزي ومائي وهوائي).

ضحكت وهي تطوي دفتي الكتاب قائلة: لا أظنني أحلم هذه المرة، فمن الواضح أنني تلك الحمامة وبطلة الحلم، ولا شك هي غادة السمان.

بل أعلن حبي عليك فمثلك لا أحد، يا حقيقة حلمي وزيف أماني.

أيا نبضًا سرى في فؤادي فغدا طيفًا

صباحي دون عينيك لن يأتي، أما تأتي؟

يا شمسًا أفلت بعد سطوعها فاعتلتني غيماتٌ لا تنكشف وركامٌ لا يمطر، فيبس قلبي بعد اخضراره ومرت السنوات عجافًا.

أما يأتي زمنٌ يُغاث فيه قلبي يا قلبي؟

هل تعلم..

كم تنهيدة شقت صدري وأنا أترقب قدومك،

وكم شهقة انتابتني كلما صادفتك،

وأنت تمر غاضًّا طرفك يا جميل المحيا؟!

هل تعلم..

أنَّ حياءَ الرجال أشدُّ فتكًا بقلوب النساء من جرأتهم؟

أما تعلم؟

ليتك تعلم..

—

خيالُكَ مرأى بصري

ومدُّ ظِلِّي

يشاغلني في تَرحالي وحِلِّي

لعلَّ الشوقَ يجمعنا سويًّا

عَلَّكَ تأتي يومًا أو لعلِّي

قليلٌ منك يكفيني

وكنتُ بعادك لا أطيق

فكيف قل لي؟

أتى القمر بموعده

فأينك أنت يا قمري وخِلّي؟

يغالب فيك شوقي قليل سخطي

وعجبي أن يعذبني أقلي.

(الرصاصة الأخيرة)

وأنسته إحداهن إياها.

وأسعدت قلبه واحدة سواها،

وأضحكت ثغره وقاربت فكره وصادف هواه هواها،

ووجد التناغم فانسجم، ووجد التقارب فالتحم،

وما عاد يشغله وجودها ولقياها.

واغتربت.

واحترقت.

وانطفأت.

ونسته كما نسيها.

وتعلمت الحبَّ الحقيقي فزكَّاها.

واستهدت بنوره فهداها.

فسبحان من أماتها وأحياها.

فتاة في **العشرين** من عمرها ترتدي فستانًا تتداخل ألوانه من السواد والبياض، وشالًا أسودًا لا يكاد يحميها من هذا الطقس شديد البرودة في تلك الليلة القرَّة من ليالي يناير، تركض ملهوفة

لتعبر النفق المظلم وقد خرجت مطرودة مخذولة شريدة مقهورة من بيت كانت تظن طوال ذلك الوقت أنها صاحبته.

قد قهرها من كانت تظن في نفسها أنها أحب الناس إليه وأقربهم عنده وأغلاهم في قلبه.

في لحظة صارت:

عشيقة لا حبيبة

ورفيقة لا زوجة

وبغية لا شريفة

سُدت دونها الطرق، وأظلمت في عينيها الدنيا

رأت أمامها وجهًا لا تعرفه فأنكرته.

هل أحبها كما أحبته؟!

لا تظن.

هل سلاها ونفض يده منها وهي أشد ما تكون عالقة به؟!

من على وجه الأرض أعظم منها حسرة وأعظم منها خسارة؟

لا أحد أذل منها وأشقى.

نشأت (أماني) كسيرة يتيمة الأبوين، وحيدة محرومة الأخوة فكفلها عمها ورعاها، فشبَّت تحت كنفه فوجدت فيه أباها التي حُرمت منه، ووجد فيها ابنته التي لم يلدها.

حتى اعترض حياتها ذلك الشاب وأغراها، فما زال يغدق على قلبها من حبه وعلى مسامعها من سحره حتى أذعنت له وخضعت ووقعت بيديها على ورقة لا تحفظ لها حقًّا ولا تصون لها شرفًا، خاصةً وأنه قام بالاحتفاظ بكلتا الورقتين معه ولم ترهما منذ وقتها هذا.

ظنت أنه سيَفي بوعده لها وأنه سيتقدم لخطبتها فور إتمام دراسته ويصير زواجهما شرعيًّا؛ لأنه كان لا يستطيع في الوقت الحالي مفاتحة أهله بما سيقدم عليه من خطبة وزواج، خاصة وأن أباه وأمه يعملان بإحدى دول الخليج وقد أرسلاه لإكمال تعليمه بمصر حيث يقيم بشقة والده بإحدى ضواحي القاهرة.

استهوته تلك الفتاة القادمة من إحدى محافظات الأقاليم والمقيمة بأحد دور سكن الطالبات بالقاهرة، حيث جذبه لها جمالها اللافت الهادئ ووجهها البريء.

دفعته سذاجتها وقلة خبرتها أن يرمي عليها شباكه لينال منها شرفها نظير ورقة زواج عرفي، خادعًا إياها، غادرًا بها مع سبق

الاصرار والترصد، ناوياً مسبقًا عدم الإيفاء بوعده نحوها، وهي لا تدري عن نواياه تلك شيئًا فأسلمت له واستسلمت.

ودفعها حبها وأعماها هواها عن أن تستبين خطاها قبل أن تطأ بقدميها ذلك الطريق الشائك بدافع الحب وما هو بحب.

الحب هو ذلك السحر الذي يطَّلع على القلوب البائسة فيسعدها، والأرواح الكسيرة فيجبرها.

هو العزاء في الدنيا عن كل فائت، والسلوى عن كل مفقود.

الحبُّ أنْ تجد ما تشتهي النفس وتقر العين، أن تجد من لو أبحته داخلك لكان الحياة بعينها والسعادة بذاتها.

فلننتظر الحب نفسه، لا ننتظر الحب من شخص بعينه، وسيأتي (فكلُّ آتٍ قريب).

اليوم قد زهد فيها وقرر أن يقطع كل علاقة له بها بعد عامين من علاقة مستترة عن أعين الجميع - والأصل في الزواج الاشهار -

افتعل معها مشاجرة وعلى إثرها دفعها خارج شقته متوعدًا إياها إن عادت لها مرة أخرى.

رحلت تجر أذيال خيبتها وقد أثقلها حملها، كيف ستواجه المجتمع بعد اليوم بلا شرف وبلا كرامة، وقد كذَّب زواجه منها مدعيًا أنها مجرد علاقة آثمة نظير المال، ورفض إعطاءها ورقة الزواج العرفي منكرًا له ولها من الأساس.

استترت بظلمة الليل بعدما طردها من شقته وخرجت هائمة على وجهها في شوارع القاهرة حتى رجعت - وقد مضى الليل إلا أقله - إلى بيت الطالبات الذي كانت تقيم به لا مواسيًا ولا معينًا حتى يقضي الله أمرًا كان مفعولًا ولسان حالها يقول: يا ليتني مِت قبل هذا وكنت نسيًا منسيًّا.

وظلت متقوقعة في حجرتها لا تفارقها قرابة الشهر مخزية صامتة تئن أنين الوالهة الثكلى، شاخصة الطرف مخضلة العينين من البكاء لا تنطق حتى جفت دموعها فاستعصت عليها وسكن روعها.

ومضت الأيام تباعًا وهي على حالها، لا هي تذهب إلى الجامعة، ولا هي تجلس مع أحد، احتجبت عن الجميع.

حتى ارتاب زميلاتها في أمرها، ما الذي دهاها وماذا يا ترى قد ألم بها؟

هل ألم بها داء ظاهرٌ أم هم باطن؟!

لا أحد يدري.

لكنها آثرت بقاء سرها في صدرها وكاتمته الجميع،

فقد عانت أرزاء الحياة قبل أن تبلغ سن الأحزان

وحيل بينها وبين الحياة، فلا أسف على شيء بعدها.

وفي ذات صباح قررت كسر تلك القوقعة والخروج ثانية إلى حياتها، فلا يجدي نحيبها ولا انطوائها.

فقامت وارتدت ملابسها وخرجت كاشفة وجهها للحياة وقد طال احتجابها من الناس واعتزالها للمجتمع، وما أن وصلت إلى باب الجامعة حتى رأته مصطحبًا فتاة أخرى خارج سور الحرم الجامعي يتمايلون وقد علت ضحكاتهما، وهي من كانت تظنه نادمًا على فعلته معها وخطئه في حقها وأنه سيبحث عنها ليعتذر منها عما بدر منه تجاهها.

فانكسر قلبها أكثر وأكثر، وأخذت العهد على نفسها أن تنساه وتخرجه من قلبها للأبد، فمثله لا يُبكى عليه.

إلى كل من ضيعونا وكنا نظن بطريقة خاطئة أنهم حفظونا، وإلى كل من أرخصونا وكنا نتوهم غباءً أنهم قدرونا حق قدرنا،

لا ملام عليكم، نحن من أضعنا ونحن من أرخصنا أنفسنا بسوء فهمنا وباعتقادنا.

والآن تحية إكبار لبعض المواقف - وإن قست - لأنها وصلت بنا لدرجة من الجلاء البصري لاستشعار الحقائق والرؤية عن بعد، تجلو أبصارنا لنرى بوضوح، وتزيل غشاوة بصائرنا فندرك بشفافية حقيقة الأمور والأشياء والأشخاص من حولنا، فيصغر في أعيننا الكثير، ونضع كلًّا في نصابه.

فنرى عندها فقط وبوضوح على أي بعد أوقفونا، وما هي المسافة الحقيقية التي تفصلنا عنهم - إن كنا قد نسينا أو تناسينا -

عادت يومها من الجامعة إلى سكنها فوجدت عمها ينتظرها في الاستقبال، فهو هنا بالقاهرة لإنهاء بعض الأشغال، وانتهزها فرصة أن يزورها ويطمئن على أخبارها ويفاتحها في أمر يخصها.

وحدث ما لم يخطر ببالها.

قالت بنبرة يخالطها القلق والارتباك: أهلًا عمي، أنرت القاهرة.

رد عمها في ابتهاج ولهفة: ابنتي الحبيبة، لقد طال غيابك،

منذ أكثر من شهر لم تأتِ لزيارتنا، لديك عندي خبر سيسعدك، فقد تقدم شخص لخطبتك، سألت عنه وهو شاب صالح وميسور الحال وأهله أناسٌ طيبون.

أريد أن أطمئن عليكِ يا ابنتي وأزفكِ إلى عريسكِ، فأنتِ وديعة أخي الغالي وابنتي التي جاد عليَّ بها الزمن، وها أنتِ قد أوشكتِ على إنهاء دراستكِ الجامعية، أشهر معدودة وتحصلين على شهادتكِ.

تلجلجت أماني ولم تستطع أن تنطق بكلمة، فواصل عمها حديثه:

سأنتظركِ الجمعة القادمة بإذن الله، فالعريس سيأتي لرؤيتكِ.

عادت أماني إلى غرفتها وهي تتمنى الموت وصورة عمها وكلامه في ذهنها لا يفارقاها.

لقد خانت أمانته في الحفاظ على نفسها وخانت ثقته حين استجابت لهاتف الحب الوهمي.

ماذا يا تُراها ستفعل فيما حل بها، ما عادت حياة الشريفات حياتها، هل مثلها يحق لها أن تحمل اسم رجل وتقيم أسرة

وتنجب أطفالًا؟ مثلها عاشت وستموت بلا شرف، بلا رجل وبلا أولاد.

الأسبوع يقترب من نهايته وأماني تزداد حسرتها ويتصاعد خوفها ولا تدري بما ستخبر عمها.

استقلت القطار في الواحدة ظهرًا المتوجه إلى بلدتها وقد فوضت أمرها إلى الله راضية بما سيؤول إليه مصيرها، فالحياة ما عادت تستهويها، ربما سيكون في الموت راحتها.

إنما يخشى الموت من يرغب بالحياة.

ودخلت بيت عمها واستقبلتها زوجة عمها وأمها الثانية بكل حب وترحاب مما زاد ألمها، كيف لمن أهدوها كل هذا الحب وأحسنوا إليها كل هذا الإحسان أن تهديهم كل هذا الغدر وكل هذه الإساءة وكل هذا العار؟

تؤلمهم سيرتها وتخجلهم ذكراها.

لكنها اهتدت إلى أن تصارح عمها بسرها، فإن قتلها أراح ضميرها من العذاب وعقلها من التفكير.

وعاد عمها من صلاة العشاء مهللًا مستبشرًا قائلًا:

يا مرحبًا بعروستنا.

طاطأت رأسها في خزي ولم تستطع أن تضع عينيها في عينه، وحين انفردت به ألقت بما في جعبتها في حجره، ثم سقطت جاثيةً على قدميها تقبل كلتا يديه وعيناها تفيضان بالدمع ندمًا.

صمت عمها ولم ينطق متجرعًا خيبته ومبتلعًا صدمته - فإذا عظمت المصيبة أخرست - وقام يجر قدميه وقد سقط كتفاه وانحنى ظهره والتصق نظره بموضع قدمه واسود وجهه من الحزن فهو كظيم.

وظل يسحب رجليه حتى دلج إلى غرفته وانطفأت أنوار البيت كما انطفأت فرحته.

ومضى الليل طويلًا ثقيلًا عليها، فلم يزُر جفنيها الكرى حتى علا أذآن الفجر وعلت معه صرخة مدوية راحت ترج أرجاء البيت، انتفضت أماني على إثرها تهرول حتى وصلت إلى غرفة عمها.

فاذا بزوجة عمها منكبة على وجهها تنتحب وتبكي، فقد فارق عمها الحياة إثر أزمة قلبية حادة كما قال الطبيب الذي استخرج تصريح الوفاة.

واااانكبتاه!

واسوأتاااااه!

رحل عمها جراء خطيئتها حاملًا معه سرها، دافنًا معه عارها.

مضى أسبوع كامل على وفاة عمها ورحلت من حيث أتت ناوية ألا تعود إلى بلدتها مرة أخرى ولتستتر بغربتها بعيدًا عن أعين من يعرفونها حتى تُنسى فلا يذكرها خاطب ولا يسأل عن أخبارها أحد.

عادت أماني لعزلتها بسكنها وقررت أن تنسى الماضي بكل أتراحه وأوجاعه وتتخذ بينها وبينه حجابًا، واستعانت بالصبر والصلاة راجية من الله أن يقبلها من التائبين، واستغنت بحب الله عن حب من سواه، فلا أمان لبشر - وإن كانت ذكرى حبها له تراودها بين الحين والآخر - تظنه قد يصحو ضميره فيعود ليرد لها كرامتها وثقتها في الناس، لكن هل يرجى من الشوك العنب؟

وذات صباح كانت في طريقها للجامعة

فإذا بذابحها يراقبها عن بعد، ماذا يريد منها وقد رماها خارج بيته في ليلة ليلاء، أما كفاه ما نالها من جراء نذالته؟

فقدت شرفها واحترامها لذاتها وعمها الذي أحسن إليها فكانت، شؤمًا عليه وستعيش بقية حياتها شريدة طريدة غريبة.

ومن سيقبلها بماضيها المشين؟!

ولن تقبل أن تبني حياتها القادمة على خداعٍ وغش، أي شخص سيقصد قربها بالحلال.

ظل تابعًا لها حتى دخلت مكتبة الجامعة، فما أن رآها تستقر في كرسيها حتى اقتحم خلوتها يباغتها بالملاطفة بعد المخاشنة والتودد بعد الجفاء ولين الجانب بعد المجانبة.

ترى ما عاد به أصحوة حب - إن كان أصلًا أحَب - أم صحوة ضمير؛ لأنه الأعلم بما اقترف في حقها، هي الوحيدة التي أحبته بصدق.

ولم يتأخر التفسير طويلًا، فسرعان ما انكشفت لها الحجب

ما حمله قلبه، ولا عاد به حنينه، بل ساقه ضميره ليكفر عن جرمه في حقها، وأملًا منه أن ينام مرتاح الضمير، حيث أنه

تزوج بابنة عمه وسيسافران سويًّا مع والديه ليعمل بالخارج؛ جاءها لأنه ينوي الرحيل للأبد والفراق مكانًا، وقد سبق وأن فارق شعورًا، فكأنني بتلك العودة المعتذرة ضمنيًّا كالمسحة التي تسبق الحقن العضلي، أهادنك لتعطيني الأمان ثم أؤلمك قاصدًا التخفيف عنك ولا أدري أنني قد زدتك وجعًا.

نظرتْ لذلك الذي أغراها وشاركها جرمها، وجاء اليوم ماثلًا بين يديها ينتزع منها الغفران مقابل بعض النقود

وقالت:

من قلب طاعن في الخيبة لشخصٍ طاعن في الخذلان،

هل تعلم كم عانى ذاك القلب؟

(لا يهم)..

أيها المتجبر على من أحبه، كم أعرتُك أذناي ونصت لبوحك، كم أحببتك وسلمتني بيديك أدراج الرياح..

كم تأملت ملامحك تلك وقد داخلني إحساس أنك يومًا ما ستغدر ولكن لفرط غبائي كذَّبته.

وجاء اليوم الذي قد خانتك قدماك كما خانتني جوارحك، وانزلقت رجلاك في هوة سحيقة، تاركًا خلفك قلبًا نازفًا ووعدًا لم تُبر به.

رد متلعثمًا: أرجو أن تنسي وأن تغفري.

ردت في أسى: هل تعلم كم انتظرتك مثقلةً بالحنين

وقد حال لوني واستحال كوني وعدت من الانتظار شبحًا ينهار، وقد ذهب ربيعي وحلَّ خريفي!.

رد وهو لا يستطيع أن يرفع عينه في عينها: اقبلي مني هذا، ومد يده بحقيبة بها مبلغًا نقديًّا كبيرًا عوضًا لها..

عن ماذا؟

عن شرفها وسمعتها وعمها وثقتها في الناس كافة وجنس الرجال خاصة؟

جاءها مقدمًا بين يديه ثمن شرفها كي تستعين به على نفقتها بعدما وصل إلى أسماعه خبر وفاة عمها.

ليته ما جاء، فقد كانت مجئيته هذه القاضية لأي شعور، كانت تراودها به نفسها تجاهه واقتلاع لآخر جذر كان متشبثًا به داخلها.

يعرض عليها المال وقد بخل عليها بالكرامة؟

إنها (الرصاصة الأخيرة) التي أهداها لها لتشف منه للأبد،

ما عاد ليصلح ما أفسد، بل ليثبت فكرتها عنه كونه نذلا غادرًا.

ما عاد ليعرض عليها الزواج الشرعي ليرد لها كرامتها،

لكن مثله عديم المروءة قليل النخوة لا يليق به سوى الخسة والنذالة، ضيعها وذهب ليبني حياته ويشيِّد أسرته، فما كانت له سوى نزوة.

تركته ماثلًا في موضعه وغادرته اليوم مختارةً، كما رحلت عنه بالأمس طريدة مجبرة.

فالأشياء التي تأتي متأخرة كأنها لم تأتِ.

والأشياء التي تأتي مخالفة للمنتظِر ليتها لم تأتِ.

وقالت منصرفة: لطالما آذاني الماضي ونغَّص حاضري.

فقررت أن أصنع اليوم ماضيًا لغد، ماضيًا لا يؤذي.

فأعدتُّ صياغة مفرداتي وسأجعل حاضري مصفًّى من كل شائبة، معافى من كل وجع، باختصار سأجعل حاضري خاليًا منك.

(المكالمة)

كان اليوم شاقًّا كسائر الأيام، لكنه كان لطيفًا لكونه يوم الخميس، حيث سيصبح يوم الجمعة عطلة نهاية الأسبوع.

انهيت أعمالي المنزلية واستلقيت بفراشي استعد للنوم، وكانت الساعة قد تخطت الواحدة بعد منتصف الليل، وأمسكت بجوالي لأضعه بوضع الطيران فأنا أريد أن أسترخي دون أدنى إزعاج.

وما إن أمسكت بهاتفي إذ برقم غريب يرن، لم أرد في انتظار أن يمل المتصل من عدم الاستجابة، لكنه كان ملحًا ولم يلبث أن يعاود الاتصال مرة ثانية، من الواضح أن الأمر هام.

قلت في استغراب وبصوت شبه نائم نظرًا للوقت المتأخر لعل المتصل يستحي ويغلق الخط معتذرًا: السلام عليكم، من؟

على الطرف الآخر: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته أهلا (....) وذكرتْ اسمي، من الواضح أنها تعرفني جيدًا.

قلت في دهشة: أهلًا بكِ.

قالت: أنا (فلانة)، حصلت على رقمك من إحدى معارفي وأرجو أن أتحدث معكِ قليلًا لو أن الوقت مناسب لكِ، قلت في استغراب وحيرة: تفضلي لو الأمر ملح.

استرسلت قائلة: أنا طالبة في الجامعة في بداية السنة الثالثة بإحدى كليات القمة، محجبة ومُلتزمة إلى حد ما، ولي صديقة جميلة هادئة الطباع ملائكية الملامح طيبة القلب وأنا أحبها جدًّا كأختي وأتبعها كظلها، وأسرارنا مشتركة وحكاياتنا وأحلامنا متشابهة ودائمًا ما نخرج ونقضي معظم أوقاتنا سويًّا.

ومنذ عام تحديدًا لاحظت أن أحد زملائنا يلاحقها في كل مكان، من الواضح أنه معجب بها، وهي على الرغم من أن أسرارنا معًا لكنها لم تُلمح لي عنه قط ولا تذكره أبدًا، وعلى العكس تمامًا، تتظاهر أنها لا تراه وتتعامل بلامبالاة رغم أن الموضوع ملحوظ جدًّا لدرجة أنني أنا شخصيًّا لاحظتُ ذلك، فكيف بها هي؟!

وهو قد علم بذلك وبدأ يتعمد البعد عنها في وجودي.

لكني إذا دخلت مثلًا المدرج فجأة أجده يطيل النظر إليها وهي في غفلة عنه، وما إن لمحني ارتبك وأشاح ببصره وربما ابتعد وترك المكان.

استمعتُ لها وأنا أقاوم التعب والنعاس، فأنا ما زلت أجهل أين المشكلة في قصة كهذه، فهي تحدث للكثير من الفتيات في سنوات الجامعة، وبحكم الاختلاط يميل أحد الطرفين إلى الآخر إلا من عصم ربي.

وما أنا بين صحوة وغفلة إذا بها تلقي علي بكلمة أطارت النوم من عيني.

همست وهي تتمتم في خجلٍ وصوتها يكاد يصل إلى سمعي:

المشكلة تكمن الآن في كوني أنا من تعلقت به ووقعت في شباك حبه وأصبحت نظراته ولفتاته لا تفارق مخيلتي، فتمنيت لو أن يُعجب بي ويحبني أنا.

ما الذي تملكه هي وما الذي ينقصني، لا أدري؟

بدأتُ بتقليدها في كل شيء، طريقة لبسها، كلامها لربما ألفت نظره لي.

الكارثة أنه لاحظ ذلك وبدأ ينتبه لتصرفاتي تلك وازداد تجاهله لي بصورة تبكيني.

وعلى العكس تمامًا فقد ازداد تعلقه بها.

كيف أتصرف؟! بدأت أكره صديقتي وأحقد عليها وأتمنى لو اختفت من على وجه الأرض؛ لأنها تقف حائلًا بيني وبينه، فهو لا يرى سواها.

لماذا لا يتعلق بي أنا ويحبني أنا ويخطبني أنا؟!

لماذا هي وهي التي تتجاهله وتنكره وتصرف بصرها عنه وتمسك لسانها فلا تكاد تذكر اسمه، ولو نطق في حضرتها ليجِذب انتباهها تتظاهر وكأنها لا تسمعه وأنا من أود لو أحدث عنه العالم بأسره والدنيا كلها؟!

أنا أعرف جيدًا أني مخطئة، ولا أعرف كيف أتصرف، والإحساس بالذنب يقتلني كوني بدأت أكرهها وهي تحبني، وأتمنى لها الشر وهي تحسن إلي.

أتمنى لو كنا أغرابًا لكان ذلك أريَح لضميري.

هذه مشكلتي، وإن كانت تبدو لكِ تافهة ولكنها بالفعل تمنعني النوم وراحة البال.

بالطبع سمعت منها وأنا كلي حيرة، لم أستصغر أبدًا مشكلتها ولم أحاول أن أقلل منها ولم أجلدها بسوط الذنب والحلال والحرام على إحساسها؛ لأننا بشر.

والمشكلة وإن بدت بسيطة إلا إنها بالنسبة لصاحبتها مشكلة أوغرت صدرها نحو صديقتها.

حاولت أن أتكلم بموضوعية وراعيت جدًا حداثة سنها.

(قرأت ذات مرة أن أشرس عداوة بين رجلين تكون على امرأة أو مملكة؛ وهذا لأن الرجل هو من يطلب ويرغب ويسبق).

فما بالكم بمعركة من طرف واحد على رجل لا يعيرها اهتمامًا لأجل أخرى لا تعيره اهتمامًا؟ حتمًا أنها ستكرهها ولو عافته ولو كرهته ولو صدَّته.

أظنها ستكون معركة من طرف واحد، لكنها أشد شراسة وأعنف ضررًا، وعداوة ما بعدها عداوة.

ناهيك عن المرأة إذا رغبت بمن لم يرغبها ويزهدها لأجل أخرى.

لذلك كان قولي قولًا واحدًا: أن تغادر حياة صديقتها على التو في هدوء ودون تردد.

هي في الأصل لم تحبه، بل أحبت حبه لغيرها.

أرادت أن تكون بطلة قصة ليست من أطرافها أصلًا، رتبت ودبرت وتحايلت على الحب وهي لا تعلم أن

الحبَّ مباغتة.

الحبُّ مداهمة.

الحبُّ رجَّة عاطفية شديدة.

فكلُّ ما رُتب له ليس حبًّا، وكلُّ ما تيسر حدوثه ليس حبًّا، وكلُّ ما وُجد له تفسير ليس حبًّا.

الحبُّ دومًا يأتي بموانعه وعوائقه وسدوده وعلامات استفهامه الكثيرة المبهمة.

لماذا؟

كيف؟

متى؟

وماذا بعد؟

فالحب دائمًا وأبدًا يختار قطبيه.

لأن أخشى ما كنت أخشاه قد حدث لاحقًا.

عندما فاجأتني نفس الفتاة بمكالمة ثانية بعد حوالي ثلاثة أشهر لتكمل لي القصة والتي كنت على يقين من أول يوم حدثتني فيه بأنها حتمًا ستنتهي هكذا، لكنني خشيتُ أن أكسر خاطرها حينها.

فقد تقدم ذلك الشاب لخطبة زميلتها تلك التي كان يلاحقها، وأنها كانت تعلم شعوره تجاهها لكن منعها دينها وحياؤها من أن تُبدي له أنها تعرف شيئًا كي يظل هناك حاجز.

- فبعض الأستار يجب ألا تُكشف - ففي التظاهر بالغباء قمة الذكاء، وإبداء الجهل حماية لدواخلنا أحيانًا.

نهاية حتمية ومنطقية تؤكد الكثير من القيم وتحث عليها:

أن الرجل هو من يطلب، والأنثى دائمًا محل طلب، تُطلب لا تَطلب.

الحياء والعفة لا الشكل والزي هما زينة المرأة.

من طلب شيئًا في سخط الله كان عما يطلبه أبعد.

وكانت هي قد عملت بنصيحتي وانسحبت في لطف من حياة صديقتها منذ نصحتها بذلك وبقيا مجرد زميلتين. وعادت لربها وأقلعت عن أفعالها تلك والتزمت بصلاة الحاجة كي يعود قلبها طاهرًا بريئًا لا يحمل لأحد حقد ولا ضغينة.

ومرت السنوات وإذا بها تهاتفني للمرة الثالثة لتعلمني بموعد حفل زفافها على شاب تقي ورِع يُحبها وتحبه، لتدرك أنه من ترك شيئًا لله عوضه الله خيرًا منه.

وإن لكل قلب نصيبه ورزقه الذي سيأتيه على سفر وإن كان مقيمًا، كحال الرزق يأتي دائمًا إن طلبته بالحلال.

(الباب الأخير)

عشر سنوات مرت وثمانية أحلام وأدت، إنها إرادة الله ولا نملك إلا الرضا.

كانا في طريقهما إلى أكبر أطباء النساء بالقاهرة بعدما جالا أغلب محافظات مصر من شمالها لجنوبها بحثًا عن سبب يفسر الإجهاض المتكرر.

عشر سنوات ومن الأمل واليأس والرجاء والدعاء والبكاء طارقين كل بابٍ يحمل خلفه أمل، لكنها سنة الله في خلقه أن يجعل من يشاء عقيمًا.

إنسان خلوق ومتدين، يحبها لكنه يستحق أن يكون أبًا وهذا حقه، لم تقف هي عقبةً في طريقه، والشرع يحل له التعدد – إن قبلت - ويحل لها طلب الطلاق - إن رفضت -

لكنه متمسك بها، وهذا ما يزيد ألمها، أن تكون هي سبب تعاسته وحرمانه.

مثله يستحق الخير كله، يستحق كل زينة الحياة الدنيا.

هذا ما يدور بداخلها وهي تنظر من شباك القطار وترى الطريق وأعمدة الكهرباء تتسارع وتختفي واحدًا تلو الآخر كسنوات عمرها التي تتسارع لتقترب من سن اليأس.

هي إنسانة جميلة ورقيقة وذات دين وحسب، وهو يحبها ويرجو الله ألا يحرمها حلم الأمومة، فهو يتمنى الإنجاب لأجلها هي، أما عنه فهو راضٍ بما قسمه الله، وما كان ليرهقها في هذا الطريق الشاق بين عيادات الأطباء إلا أخذًا بالأسباب وحتى لا يكون قد قصر معها، فهو يعلم جيدًا أن الأولاد عطية الله، وحين رزقه الله بها كزوجة ارتضاها - سواء أنجبت أم لا - فهو لا يشترط على الله عز وجل.

لكنه يشفق عليها من نظرات الناس وكلامهم اللاذع - المتعمد كثيرًا والغير مقصود أحيانًا - لكن ذاك الكلام في الحالتين ينال منها ويجرحها، فهي كالنسيم، لكنها إرادة الله وحكمته.

وبينما هو غارق في أفكاره وحديث نفسه هذا إذ بها تلتفت صوبه قائلة: إن شاء الله خير أستبشر بهذه الزيارة.

منذ شهرين ونحن ننتظر الحجز عند هذا الطبيب المشهور - وكأنه آخر خيط أمل تتعلق به - فهو طبيب مصري سابق في هذا المجال وله أبحاث عالمية وأكثر من مركز يديره لعلاج تأخر الحمل والاجهاض المتكرر، وقد نصحها به بعض أصحابها.

وأنا أرجو الله أن يردها مجبورة مأجورة مستبشرة كما تظن.

قلت لها: إن شاء الله خير، وأنا قد قلت لكِ سابقًا أنكِ أغلى شيء عندي، وموضوع الإنجاب إنما أريده لكي ترتاحي وتطمئني ولا تحزني، أما أنا فمرتاح وسعيد ومطمئن، أنتِ زوجتي وأمي وابنتي، ولا أريد شيئًا ينغصكِ أو يكدر صفوكِ.

نظرت إليه نظرة حب وامتنان وخجل؛ لأنها تعتبر نفسها سبب شقاءه لا كما يقول هو سبب سعادته.

فإخوته جميعًا وهو أكبرهم قد أنجبوا، وهو أيسرهم حالًا وأغناهم مالًا، لا يجد وارثًا من صلبه، وكل ذلك بسببها هي.

بكت من داخلها وإن كانت دموع روحها لا تجف أبدًا، أتبكي على حاله أم على حالها؟ عشر أعوام خلالها دخلت غرفة العمليات قرابة الثلاثين مرة، مناظير وعينات وتفريغ، ما عاد في جسمها موضع يتحمل المزيد.

اللهم فرجًا قريبًا لمن ضاقت به الطرق وانقطعت به السبل.

وصل القطار للمحطة في الوقت المحدد له ووطِئوا أرض محطة رمسيس يحملون همهم وأوراقهم وتحاليلهم، وكلهم أمل في أن يعودوا مجبوري الخاطر.

استقلا تاكسي حتى عيادة الطبيب المنشود، وما أن دخلت استقبال ذلك المركز الكبير إذا بعشرات المرضى بين من حقق حلمه وبين من مازال يرجوه.

وسمعت الأحاديث الجانبية بين المريضات: هناك من تقول أنها تأخرت ثلاثة عشر عامًا وهي الآن حامل في توأم، وأخرى خمس سنوات وتحمل ثلاثة توائم، وراحوا يثنون على ذلك الطبيب ومهارته.

وأخرى مثلها تتابع معه منذ شهور على أمل أن تنال حلم الأمومة.

وإذ بصور الأطفال تملأ المكان وتعلوها بعض الجمل التي تحمل الأمل لتلك النفوس المتعطشة.

(النهاردة أنت معانا وبكرة هم معاك).

انتظرا كثيرًا ونزل هو ليحضر لها شيئًا لتأكله، وهي من يأتيها بالشهية وهي على أعتاب خطوة كتلك؟

ففي تلك اللحظة لا يشغلها سوى ماذا ستحمله لها زيارة هذا الطبيب، فهو بالنسبة لها (الباب الأخير).

جاء دورهما ودخلت متثاقلة وقد كانت طيلة الطريق تكاد تطير، لكنه الخوف من المجهول ومما تحمله تلك الزيارة جعلتها تكاد تتراجع.

قال زوجها ملقيًا التحية: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رد الطبيب التحية مبتسمًا ابتسامة لطيفة وهو يجلس خلف مكتبه على كرسي ضخم يليق بمن يحمله وبعلمه ومكانته.

قال الطبيب: متزوجين منذ متى؟

رد زوجها: عشرة أعوام.

قال الطبيب: هل حصل حمل خلالها؟

ردت هي: ثماني مرات.

قال الطبيب: هل حدث الحمل بأخذ منشطات أم تلقائيًّا؟

ردت هي: تلقائيًّا.

قال الطبيب: هل لديكم أطفال؟

قالت: لا، إجهاض متكرر.

قال الطبيب: هل الإجهاض يحدث في الشهور الأولى أم في الشهور الأخيرة؟

ردت هي: في الشهر الثاني كل مرة.

أمسك الطبيب بالتحاليل والأشعات الخاصة بها وبه، وأخذ يتفحصها بتمعن لمدة ربع ساعة تقريبًا مرت عليها كأنها شهر.

ثم نطق: يا ابنتي، عندك أجسام مضادة بنسبة مرتفعة تسبب تجلط بالدم في الأوعية الدموية الخاصة بمشيمة الجنين فتُسبب عدم اكتمال الحمل.

قالت: نعم، قال لي أحد الأطباء هذا ونصحني بتناول حقن السيولة تحت الجلد بأعلى جرعة، كنت آخذها يوميًّا من أول يوم في الحمل، لكنها لم تمنع الإجهاض.

رد الطبيب بنبرة فيها أسى وتعاطف إنساني: يا ابنتي، مثل حالتكِ صعب معهم أن يكتمل الحمل وإن اكتمل للشهور الأخيرة فقد يحدث وفاة داخل الرحم.

احمدي الله أن الإجهاض يحدث لكِ في الشهور الأولى قبل أن تتعلقي بالحمل، هذا لطف من الله.

نطقت في خوف: وما الحل يا دكتور؟

رد في حزم: أنا لا أستطيع أن أعالجكِ، ونصيحة مني أن تكتفي بهذا القدر من العمليات والمناظير والتحاليل، فلبدنكِ عليك

حق، بكل أسف عليكِ أن تنسي موضوع الحمل وترضي بقضاء الله، ونحن جميعًا كبشر محدودي التصرف تحت الإرادة الإلهية، وستظل بعض الأمور أمامنا مبهمة وبعض الأبواب مغلقة إلى أن يأذن الله لها بالاستضاح.

بعض الأمراض استعصت على القدرة البشرية المحدودة إلى أن شاء الله فيها شفاء فألهم الله بها من يكتشف علاجها حتى يأذن هو وحده.

ربما بعد عام أو أعوام يأذن الله في مثل حالتكِ بالشفاء،

ألم يقل سبحانه وتعالى: {فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَـٰنَ}.

يا ابنتي، هذا ابتلاؤك في الدنيا، فارضِ، ولا يرفع الله قضاءً حتى نرضى به.

خرجا من عند الطبيب بعدما أُغلق في وجههما

(الباب الأخير) التي كانت تظن أن وراءه الفرج، فإذا به انقطاع الأمل.

{هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا}.

لقد تصدع داخلها، وسقطت من أعلى قمة للأمل لأدنى درجات الإحباط.

لكن كلمات الطبيب لها كانت شفاءً بالفعل

نعم، ابتلاؤها فلتصبر.

لا يرفع قضاءً حتى نرضى به.

وأخذتْ تقاوم شيطانها الذي يوسوس لها، وراحت تتكلم بصوت عالٍ كي تخزيه، وزوجها يسمعها: ألم أُخطب أول صديقاتي وأتزوج أولهن؟ ألم أفرح بخطبتي وعقد قراني وزفافي وكم من زميلةٍ لي لم تُخطب حتى الآن؟

ألم أحمل فذقتُ فرحة البشرى، وحين أفقد حملي أنال الأجر؟! وكم امرأة تتمنى أن تحمل ولو مرة واحدة فتعيش شعور أنها أنثى؟!

ألم يرزقني الله بالصحة والعافية وبالعائلة الكريمة والأصل الرفيع والجمال والخُلق والتعليم العالي؟

ألم أُرزق بزوج صالح لم يؤذِني بكلمة ولم يجرحني بإيماءةٍ وغيري معها البنين والبنات وتعيش في جحيم مع زوج قاسٍ بخيل وسليط اليد واللسان؟

وإن أعدُّ نعمة الله لا أحصيها.

أفلا أكون أمَةً شكورة؟

أرضى بالمنع، رضائي بالمنح.

أأحاسب الله على نعمة حُرِمتها ونسيت كم نعمة أعطانيها؟

لا والله أبدًا..

ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيبا مباركًا فيه.

حمدًا على ما منعت وعلى ما منحت وعلى ما أسديت به علينا وأعطيت.

نظر إليها زوجها في حب وعيناه تفيضان بالدمع قائلًا: ها أنتِ رضيتِ فأبشري برفع القضاء قريبًا بإذن الله.

وكان باب الرضا هو (الباب الأخير) حقًّا.

ومرت ثلاث سنوات بعد ذلك الوقت وكانا يحمِلان أولادهم التوأم، ولدين وبنت في عمر العامين، وهما في طريقهما للمطار لأداء مناسك العمرة؛ ليشكرا فيها الله صاحب المنة والفضل ويقصدان بابه وحده، فإنما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون.

(ربح البيع إذاً)

يومًا ما قابلنا أشخاصًا، تعرضنا لمواقفٍ أو شهدناها، عبارة ما قرأناها، قصة رويت لنا أو عشناها، كلها رسائل ربانية، لم تعترض طريقنا عبثًا ولم تأتنا مصادفة، فكل شيء قدر مقدور.

رسائل ربانية!

فلنُكن بالدرجة الكافية من الوعي والاستيعاب، لندرك مغزاها وما تحمله لنا من معاني، فعلينا ستشهد، وما لنا من عذر بعدها عند ربنا، والفطِن من فطن.

رسائل ربانية فاقرأوها بعناية وتبينوا مراده جل وعلا منها، فما ساقها في طريقكم إلا لخير أراده بكم.

وبهذه القصة رسالة ربانية لصاحبة القصة، ولمن سيقرأها أيضًا.

كان يومًا شاقًّا مليئًا بالأحداث غير كونه يوم شديد الحرارة كسائر أيام شهر أغسطس، أشد أشهر الصيف حرارة وأقساها طقسًا، وقد انتهت للتو من شراء بعض أغراضها من ملابس وغيرها، فالعام الدراسي الجديد على الأبواب، وارتفع آذان العصر فرأت أن تذهب لمصلى السيدات الملحق بأحد

المساجد القريبة منها كي تصلي كعادتها دائمًا عندما يدخل وقت الصلاة، فهي رغم لباسها الذي يميل للتبرج وحجابها الذي لا يعد حجابًا كما تصفها بعض زميلاتها الملتزمات من وجهة نظرهن، إلا أنها ترى نفسها أكثر تدينًا والتزامًا من الكثيرات اللواتي قد يرتدين الخمار ولا يحافظن على الصلوات أو يمانعن الاختلاط، كما أن هناك الكثيرات ممن يتخذن من زيهن المحتشم ستارًا لأفعال مشينة وسلوك أقرب ما يوصف كونه غير لائق، وذلك الزي الذي أصبحت تراه هي قد يصم من ترتديه بمثل تلك الصفات لكثرة ما رأت من صاحبات الزي الطاهر والفعل المشين، فكرهته لكرهها لهن، كما أنها ترى نفسها صغيرة على ارتداء الحجاب، فما المانع من تأجيل تلك الخطوة لحين زواجها وإتمام دراستها، طالما تؤدي صلاتها وتطيع ربها، فإن هي قصرت من جهة الحجاب فلا بأس، وكل له خطأه ولا يوجد أحد كامل.

وصلتْ للمسجد وقد حضر وقت الصلاة توضأت ولحقت بالجمع، وبعد الصلاة جلست ووضعت بجوارها حقائب مشترياتها وراحت تقرأ وردها الذي تحرص عليه دبر كل صلاة

من قرآن وأذكار، فجاء صوت من الميكروفون عن وجود حلقة لأحد المشايخ، وكان عنوان الحلقة: (التجارة الرابحة).

وبدأ الشيخ كلامه بقوله قال نبينا الكريم صلى الله عليه وسلم: (كل الناس يغدو، فبائعٌ نفسه فمعتقها أو موبقها)،

ثم عقب بقول الله تعالى:

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيْمٍ}، وقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾، إنها المبايعة مع الله تعالى، صفقة مدتها هي عمرك، فسارع فقد يحِين الأجل وينقضي العمر.

صفقة أرباحها جنة عرضها السماوات والأرض، أما شروطها فهي أن تبيع نفسك كلها لله جل وعلا.

{قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِيْ وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ}.

البيعة شاملة كل حياتك، كل توجهاتك، كل تصرفاتك، كل وقتك وعملك وعموم سعيك، لا تأخذ جزءًا وتترك جزءًا، لا تستعظم شيئًا أنت فاعله وتستصغر وزرًا أنت مقترفه، وكل ما ترجوه من وراء هذا البيع هو مرضاة الله سبحانه، إنه ليس أمرًا مختص بالعبادات وحسب، بل كل مسلك أنت سالكه،

فالإنسان يحاسب على كل شيء حتى على ما يتعاطاه من شهوات نفسه، فإن كانت في حلال يؤجر، وإن كانت في حرام يأثم.

ولله المنة والفضل على الإنسان ابتداء وانتهاء، كونه أوجده من عدم وأمده بما يحتاجه ثم هداه إليه وأرشده، ملكنا أنفسنا وأموالنا، ومع ذلك قَبِل الله تعالى المبايعة، ووعدنا بعِظَم الأجر وربح التجارة، فقط إن أنت أخلصت النية، إنه مالك النفس وصاحب المال وقادر على استردادهما، لكنه الكريم لا يسترد هبته ولا يرجع في عطيته، يشتري مُلكه بمُلكه، فضلًا منه، ورحمةً وإحسانًا.

هذه هي التجارة الرابحة، فاحرصوا عليها ولا تضيعوها، واستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به.

سارعوا ولا تسوفوا، فبعض الناس ربما أمهل، وقال: إذا كبرت تُبت، أو إذا تزوجت لبست الحجاب وإذا، ولكن مَن يضمن لك؟ أروا الله من أنفسكم خيرًا، الإصرار على الصغيرة كبيرة.

(لا تنظر إلى صغر المعصية ولكن انظر إلى عِظم من تعصي)

مالك وغيرك؟! اصدع بما تؤمر وأعرض عن الجاهلين ولا تجعل الله يفتقدك حيث أمرك، ويراد حيثُ نهاك.

فالفعل يشين فاعله لا يعيب الجماعة المنتمي إليها، ولا تزرُ وازرة وزرَ أخرى.

ابدأ بنفسك، كن أنت القدوة لغيرك، فالإسلام يُعرف بك وينتشر بفعلك قبل قولك.

ولنتذكر جميعًا أن العبادة هي علة وجودنا في هذه الحياة {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}.

أخذتْ تسمع وتعقل وقد أسندت ظهرها للحائط فقد أنهكها التعب من عناء ذلك اليوم الشاق، فغلبها النعاس.

فرأت كأن النبي صلى الله عليه وسلم ومعه نفر من الناس بيض الثياب وبيض الوجوه، فسألت من هؤلاء؟!

قيل لها إنهم جماعة من الأنصار، وسمعت قرآنًا يُتلى: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} وعلا صوت الحضور: (ربح البيع، ربح البيع، ربح البيع) ورأت أناسًا تعرفهم هي لكن ربما كانت لا تألفهم، زميلات لها ملتزمات يتوافدن للدخول إلى حضرة رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وهي واقفة بالباب لا تستطيع الدخول، وأخذت تتوارى منه خشية أن يراها، لكنها كم كانت تشتاق لرؤيته والقرب منه لكن، كيف يراها على هذا الوضع؟! حتمًا كان سيغضب منها، وراحت تفتش داخل حقائبها وتبحث بين أغراضها تلك علَّها تجد شيئًا تستتر به، لكنَّها لم تجد شيئًا يليق بحضرة النبي الكريم والصحب الكرام، ليتها استعدت لمثل هذا اللقاء، وراحت تنظر لمن هم في حضرته وقلبها يعتصر ندمًا ولسان حالها يقول: (يا ليتني كنتُ معهم فأفوز فوزًا عظيمًا، بأبي وأمي أنت يا رسول الله).

بماذا بعت قربه؟

رباااااه!

كلُّ قرب دونك بُعد

وكلُّ حب دونك هوان

وكلُّ ربح دون رضاك خسارة.

ما لي ببابك من مآرب، غير رضوانك ربي.

ربح من باعوك حياتهم، وربح من شروا أنفسهم ابتغاء مرضاتك، ربح بيعهم إذًا.

وفتحت عيناها وهي تردد: (ربح البيع إذًا)، ودفعت بحقائب مشترياتها جانبًا، فقد بغضت تلك الملابس ولن تدع زيَّها يقف عائقًا بينها وبين رضا ربها وقرب نبيها، فقد أحست بأن ذلك الكلام إنما هو رسالة ربانية لها.

(بين قوسين)

سبق لنا جميعًا أن وضعنا بعض الكلمات أو بعض الأسماء أو بعض الأحداث بين قوسين، كل ما نضعه بين قوسين، شيئًا مميزًا ومختلفًا عن باقي الأشياء، يعني لنا الكثير، حتى في كتابتنا يوم نحيط بعض الكلمات دون غيرها بهذين القوسين، فهذا يعني أن تلك الكلمة في سياق الكلمات لها طابع خاص متميز، وكأن بهذين القوسين إشارة لمن يقرأ أن ينتبه، ويحاول إدراك ما تحمله تلك الكلمة من معاني، لتتوج دون غيرها، وتحاط وتغلف ويُلقى عليها الضوء هكذا.

ما كنت لأنسى تلك اللحظة وقد كنت من شاهديها - بحكم عملي كطبيبة - ولكن ليست تلك هي المرة الأولى لأشهد مثل تلك اللحظات، لكنها كانت المرة الأولى لأعلم ما وراءها من معاني، فعلى وسادة الموت الكلُّ يرى ببصيرته، لكن ليس الكلُّ قادرًا على وصف مشاعره، كما فعل صاحب تلك القصة.

هذه اللحظة من حياتي تستحق أيضًا أن توضع بحقٍّ بين قوسين؛ لأن حياتي تغيرت كثيرًا بعدها.

انتهت نوبتجيتي وأثناء انصرافي جاءني اتصال من (نجلاء) صديقة طفولتي وشبابي، تخبرني أن والدها في حالة مرضية سيئة فاستعانت بي لأقف بجانبها تلك اللحظة، ليس كطبيبة

فقط، بل كأخت وصديقة أيضًا، هي فتاة طيبة طاهرة عفيفة كأبيها - والبنت لأبيها تكون - أخت وحيدة لأخوين، وكانت تعتبرني أختها وأنا كذلك، فعلاقتي بأخوتي باتت متوترة منذ فترة بسبب مشاكل الميراث، وزوجي الذي تركني وابنتي ليبدأ حياته مع أخرى غير مباليًا بعشرة ولا بحبٍ كان بيننا يومًا، والحمد لله الذي أذاقنا جَفاء الناس لنعود إليه ونؤوب.

خضعت الأصوات، وانهالت الدعوات، وفاضت العبرات، لحظة يقف عندها الزمن وتتباطأ عقارب الساعات، فليس أصدق على وجه البسيطة من تلك اللحظة - لحظة الموت - عندما يتضاءل كل شيء في عين صاحبه فلا شيء يستحق أن يُخذل عند تلك اللحظة، لا مال ولا أولاد ولا منصب؛ فكلٌّ سعيٍ سُدى، وكلٌّ تناحرٍ هباء، كلٌّ يهون لتخطي تلك اللحظة واجتيازها بنجاح، فنقدم على دار البقاء وقد سعينا لها سعيها، ولمثل هذا فليعمل العاملون.

وبين الصمت والصمت نطقت تنهيدة وكأنما أثقلت صدر صاحبها فألقى بها، والتفت الجميع لمصدر الصوت فإذا به ذلك الأب الحاني، صاحب الجسد الهزيل الذي أردى به المرض، وبات في غيبوبة منذ أيام، وكأن بها صحوة الموت -

كما يقولون - وراح لسانه يتحرك ناطقًا ليُهدي لهم ما هو أثمن من كل مال وأبقى من كل تركه.

رجل أعرفه وكلٌّ من يعرف الحق يعرفه؛ فبه عُرِف الحقُّ وبالحقِّ عُرِف، صاحب العقل الرشيد والقول السديد، ربُّ القلم الصارم، لم يخشَ في الحقِّ لومة لائم، كم حركت كتاباته من مشاعر وأنهضت من عزائم، ولا ضير أن ينطق بالحق في مثل تلك اللحظة، وهو من عاش للحق وبه، ومن عاش على شيء مات عليه، أشار إليهم أن اكتبوا عني؛ فقد يكون هذا آخر ما أكتب، فلتبلغوه، كان عنوان مقالتي الأسبوعية بالجريدة (بين قوسين).

ما بين القوسين في هذ اللحظة هو (عمري) قوسان كأنني بهما متقاربين حدَّ التلاصق، قوس البداية وقوس النهاية، وما أقرب النهاية للبداية، إذا كان الموت مقرونًا بالميلاد فاعملوا لمثلها إنها لحقٌّ، اعملوا لمثلها إنها تستحق، لا تضيعوا أعماركم فعنها ستُسألون، أخلصوا نياتكم فبالنية يصلح العمل، وإن فسدت النية يفسد العمل وإن صلح العمل، حياتنا كلها تستحق أن توضع بين قوسين.

فضلًا عن أننا نستمر في وضع علامة القوسين حول الكثير والكثير من الأشياء شعورًا منا بمدى أهميتها، لكن مع الوقت ومرور العمر وتغير مراحل حياتنا نحتاج كثيرًا لشطب بعض الأقواس وتكبير بعضها وتغيير أماكنها، هذه هي سنة الحياة، الثوابت واضحة، والأولويات تختلف من سنة لأخرى بل من لحظة لأخرى، لكن هنالك ثوابت لن تفارقها الأقواس.

وسكت لسانه للأبد، لكن ستظل كلماته ناطقة عبر سطوره، مثقلة ميزان حسناته، علم يُنتفع به، نعم لقد صدق في لحظة لا تقبل إلا الصدق، لكن الأشد وجعًا أن نندم أننا وضعنا يومًا شيئًا لا يستحق بين قوسين، وقد جاء اليوم لنحطم تلك الأقواس غير آسفين أو مبالين، فقد أثبتت بعض الأشياء بالتجربة أنها لا تستحق، بل نضع بدلًا منها خطًّا مائلًا نشطب به ذلك الشيء وإن كان من الأسهل أن نمحوه بممحاة، لكن الشطب أحرى كي نظل متذكرين خيباتنا على أمل ألا نكررها.

(بصيرة)

ملأت كوبها عدة مرات، وكلما دنى من فمها رأت نفس الخيوط السوداء تسبح في الماء، أفرغته مرة تلو الأخرى، ضاق صدرها وقامت بسكب كل الزجاجات وغسلها جيدًا، وأعادت ملئها، لكن لا شيء يتغير، ذلك السواد المعكر لصفو كأسها ما زال يطاردها، غسلت كوبها مرارًا وتكرارًا، ربما كان العيب فيه لكن دون جدوى، عهدت لكوب آخر لكن خانها اختيارها، إنه كان كوبًا أبيضًا أيضًا، فازداد السواد وضوحًا، متى يصفو شرابها مما شابه؟

ضاقت ذرعًا: هل سيظل ذلك السواد يطاردها؟! أين المهرب؟

حطمت كل الأكواب، ما عادت تستسيغ شيئًا، علها خدعة ساحر أرادها بشر، فهنالك من يحقدون عليها، وكم من نفس مريضة!

زادت وساوسها وفقدت الثقة في أقرب الأقربين، اعتزلت الناس و ما ازداد السواد إلا حضورًا، فأصبحت حبيسة سوادها وأوهامها.

وذات ليلة حاصرها السواد، فما عادت بقع سوداء في كأسها، بل غشاها السواد للأبد، صرخت لكن لم يكن معها من يغيثها؛ فقد اعتزلت الجميع واليوم هي حبيسة عماها.

قصدت الطبيب الذي أنار بصيرتها بعدما انطفأ بصرها قائلًا: ما كان يحدث معك إنما هو أثر نزيف بعينيك، لو أنكِ انتبهت له سابقًا لتداركنا الأمر، لكن الحالة الآن متأخرة، فقد فقدتِ النظر للأبد، يؤسفني أن يكون السواد ضيفكِ بقية عمرك.

دائمًا ما نستبعد أن يكون العيب فينا، فنزداد ضلالًا، دائمًا ما نلقي اللوم على غيرنا في أي شيء قد يكدر صفو حياتنا، ولو أمعنا النظر لأدركنا أننا قد نكون نحن سبب شقاءنا، ولا نحب أن نعترف بذلك، فلو أنها وضعت ولو للحظة احتمالية أن يكون السواد الذي يطاردها سببه عيناها لما ازداد وحاصرها.

أغلى إهداء

(وسميته أحمد كي أظل لفضل الله أحمد).

من كاتبة لابنها الكاتب الصغير سنًّا والكبير حلمًا ومقامًا **أحمد مصطفى جنيدي،** سيد القصص المستقبلي، أرجو الله أن يحفظه ويجعله حاملًا لكتاب الله، فصيح اللسان، مفوهًا وناطقًا بالحق، ودائمًا قلمًا يخط تاريخًا جديدًا.

هذا الكتاب هو انعكاس لشغفنا المشترك، وخمس قصص من حكاياته الرائعة، أهديه إياها ضمن (مجموعتي القصصية) مع كل حب وتفاؤل.

لحين تمكنه لاحقًا من نشر مجموعته القصصية

(حكايا الجد)

بإذن الله.

وقد سبق ونشرتُ إحدى قصصه الفائزة

في مسابقة (براعم الكتابة) منذ عامين.

(الكواكب المتشاجرة)

بقلم: أحمد مصطفى جنيدي.

جلس الجد في غرفته يستمع إلى القرآن الكريم بعد عودته من المسجد بعد صلاة العصر.

فسمع صوت شجار بخارج الغرفة، فخرج يتفقد مصدر الصوت فوجد حفيديه أحمد وفاطمة يتشاجران بالغرفة المجاورة.

قال الجد في لطف: لم تتشاجران؟!

قالت فاطمة: من منا الأكبر يا جدي؟

قال الجد مبتسمًا: أنتما توأم.

قالت فاطمة: لكنني أنا الأكبر بخمس دقائق.

قال أحمد: وأنا الأطول.

ضحك الجد قائلًا: لقد ذكرتموني بقصة الكواكب المتشاجرة.

فاندهش أحمد وفاطمة وتسائلا: وما هي قصة (الكواكب المتشاجرة؟)، احكيها لنا يا جدي.

قال الجد: اتفقنا، بشرط أن تتوقفا عن الشجار وتتصالحا.

قالا: حسنًا، لكن بعد أن تروي لنا القصة.

فقال الجد في لطف: تعالوا معي إلى غرفتي وسأقص عليكما القصة.

دخل الجد غرفته وتبعاه ثم جلس الجد متكئًا على سريره وجلس كل منهما على مقعد ينتظران في شغف.

قال الجد: لا يحلو الكلام إلا بذكر خير الأنام سيدنا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام.

فردد الطفلان: عليه أفضل الصلاة والسلام.

ثم واصل الجد: لقد بدأ كل شيء عندما تشاجر كوكبان من كواكب المجموعة الشمسية (المشتري والمريخ) حول أيهما الأكبر حجمًا وأيهما أقرب من الشمس.

فقاطعهما كوكب الزهرة قائلًا: أنا أقرب منكما للشمس.

فسمعتْ باقي الكواكب الحديث فأخذوا يتفاضلون بل أنا الأقرب بل أنا الأكبر.

فصاحت الشمس قائلة: أنا أعرف من منكم أقرب مني ومن منكم الأكبر حجمًا، فأنتم الثمانية كواكب مجموعتي وأنا أعلم منكم بهذا الأمر فعل ترضون حكمي؟

سكتت جميع الكواكب وقالوا: رضينا حكمك.

قالت الشمس: كوكب المشتري هو الأكبر حجمًا في مجموعتي، يليه كوكب زحل ثم أورانوس ثم نبتون ثم الأرض ثم الزهرة ثم المريخ والأصغر حجمًا هو كوكب عطارد.

ولكن كوكب عطارد هو الأقرب مني، يليه بُعدًا عني الزهرة ثم الأرض ثم المريخ ثم المشتري ثم زحل ثم أورانوس وأبعدكم عني هو نبتون.

قالت الكواكب جميعها: حسنًا، لقد علم كلٌّ منا الآن حجمه وبعده عنكِ.

فسبحان الله الذي خلقنا وجعلنا مختلفين وبالاختلاف يتميز بعضنا عن بعض ويكمل بعضنا البعض.

ابتسم أحمد وفاطمة وقالا: نعم يا جدي، رغم الاختلاف فكلٌّ واحدٍ منا له ميزة ميَّزه الله بها عن غيره ليُكمل بعضُنا البعض.

وتصافحا ووعدا جدهما ألا يتشاجرا مرة أخرى.

قال أحمد متحفزًا: سأبحث عن كواكب المجموعة الشمسية على الإنترنت.

لأعرف عنها المزيد من المعلومات.

وقالت فاطمة مبتسمة: وأنا سأرسم صورة لكواكب المجموعة الشمسية حسب حجمها وسأرتبها حسب قربها من الشمس.

فرح الجد بهما وقال: هذا أمرٌ رائع.

وأنا في المرة القادمة سأحكي لكما قصة جديدة وممتعة إن شاء الله.

(أسنان القرش)

بقلم: أحمد مصطفى جنيدي.

الساعة الحادية عشرة والنصف مساءً وكان الجو حارًّا جداً لأننا كنا في فصل الصيف.

وكنا نحن نجلس في قاعة الانتظار بعيادة طبيب الأسنان، وقد طال انتظارنا لمدة تقارب الساعة وقد بدأتُ أشعر بالملل الشديد وأنتقل من مقعد لآخر.

وفجأة وبينما أنا أتحدث مع أبي فُتِح باب حجرة الكشف وخرج منه ثلاثة أشخاص واضح أنهم من أسرة واحدة.

بدأت أستعد للدخول أنا وعائلتي إلى حجرة الطبيب.

كانت حجرة الكشف جميلة ومرتبة وممتلئة بالأدوات المخيفة، فكدت أتراجع لولا أن مشاكل أسناني التي كنت أشعر بها منذ ثلاثة أشهر - وأنا أخفيها عن الجميع - حتى لا أذهب إلى طبيب الأسنان، فلم تكن هذه هي الزيارة الأولى لعيادة طبيب الأسنان، لكنها كانت الزيارة الأولى لهذا الطبيب، فلم تكن عيادات الأسنان الأخرى التي ذهبتُ إليها مسبقًا مثل هذه العيادة في نظافتها وترتيبها وتجهيزاتها.

قال طبيب الأسنان: أهلًا بك، ما اسمك؟

قلت: أهلًا يا دكتور، أنا اسمي أحمد.

قال: ما هي مشكلتك يا أحمد؟

قلت: لدي مشكلة في أسناني منذ فترة، أثناء مضغ الطعام أعض على لساني.

فقال لي: اجلس على كرسي الكشف، وكان كرسيًّا غريبًا يشبه الزحليقة.

وقرَّب الطبيب الضوء من وجهي وارتدى قفازًا معقمًا وأخذ يتفحص أسناني.

وقال: تحتاج إلى صورة أشعة على أسنانك.

ولحسن الحظ كان عنده جهاز الأشعة في غرفة الكشف، وفي خلال دقائق أخذ لي الطبيب صورة الأشعة لأسناني

وقال: هناك أسنان لبنيه نحتاج لاقتلاعها؛ لأن الأسنان المستديمة تنمو في وضع خاطئ خلفها، وهذه الحالة عند الأطفال تسمى: (أسنان القرش).

وبالفعل قام الطبيب بالتوجه نحوي وهو يمسك بحقنة بنج كأن سنها ملتوي وحقنها في فمي، فشعرت بأنَّ وجهي من الناحية اليمنى قد انتفخ، لكن علمت لاحقًا من الطبيب أن هذا مجرد شعور فقط بسبب مفعول البنج الذي لن يجعلني أشعر

بالألم عند اقتلاع الأسنان وأن تأثير البنج مؤقت وسينتهي بعد ساعة ونصف، ونصحني بأن أتناول المثلجات والمشروبات الباردة لمدة يوم كامل وأن أبتعد عن الطعام الساخن.

وبعد أربع وعشرين ساعة من الآن سأمضمض فمي بماء وملح كي أحافظ على نظافة الجرح ليلتئم الجرح بسرعة أكبر.

ووضع لي قطنًا وشاشًا معقمًا في موضع خلع الأسنان وطلب مني أن أغلق فمي عليه بشدة.

وأعطاني كيسًا معقمًا به غيارات أخرى لأستبدل بها هذا القطن الذي في فمي من وقت لآخر لحين توقف الدم، وأعطاني كيسًا آخرًا به الأسنان المقتلعة وأنا الذي طلبته منه لأنني كنت أعتقد أنني إذا أعطيت سني للشمس ستطلع السن الأخرى بسرعة أكبر، وكان هذا اعتقادًا خاطئًا كاعتقاد بعض الأطفال أنهم إذا وضعوا سنهم المقتلعة تحت الوسادة سيجدون مكانها بعض النقود في الصباح.

رجعت من عند طبيب الأسنان وأنا مغلق فمي على القطن، ولكنني كنت سعيدًا لأنني تخلصت من ألم أسناني، وبعد ساعة ونصف سأتناول الآيس كريم والمثلجات التي أحبها.

وكان أول شيء فعلته أن بحثت على جوجل عن الأسنان اللبنية وما هي أسنان القرش.

فعلمت أنَّ الأسنان اللبنية أو ما تسمى أيضًا بأسنان الحليب أو الأسنان المؤقتة هي المجموعة الأولى من الأسنان التي تظهر في فم الطفل وتتميز ببياضها وحجمها الصغير، ويبلغ عددها عشرون سنًّا، عشرة بالفك العلوي وعشرة بالفك السفلي، وتبدأ بالظهور حول عمر الستة أشهر وتكتمل في الفم حوالي عند عمر سنتين ونصف، وتلعب الأسنان اللبنية دورًا حيويًّا في مساعدة الأطفال على المضغ وتطوير الكلام والحفاظ على مساحة الفم للأسنان المستديمة، وتبدأ في السقوط في عمر ستة إلى سبع سنوات حين تحل محلها الأسنان المستديمة، لكن إذا لم تسقط الاسنان اللبنية في وقتها تخرج الأسنان المستديمة بصورة خاطئة فيصبح هذا ما يسمى بمتلازمة أسنان القرش عند الأطفال.

وكنت قد فكرت للحظات أن أكون طبيب أسنان لكنني تراجعت؛ لأنها مهنة شاقة وتستغرق وقتًا طويلًا جدًّا في الكشف.

لكن من المؤكد أنني سأحرص على زيارة طبيب الأسنان بصورة منتظمة لمتابعة أسناني.

شكر خاص لدكتور: أحمد محمد سامي مدرس طب الفم والأسنان بجامعة النهضة.

(ثمار الحديقة)

بقلم: أحمد مصطفى جنيدي.

كانت شمس الصباح تطل على حديقة الجد، بينما كان الجد يجلس على كرسيه بوسط حديقته الجميلة يشاهد المزارعين وهم يجنون له ثمار أشجار النخيل المزروعة هناك، وبينما كان أحمد وفاطمة يلعبان بجوار جدهما بالأرجوحة دخل رجل فقير وألقى السلام وقال للجد: هل أستطيع الحصول على بعض من ثمارك؟

فقال الجد: بالطبع يمكنك ذلك.

وأعطاه الجد بعض الثمار ثم مر الوقت ودخل عليه فقير آخر وقال: هل أستطيع أن أحصل على بعض الثمار؟

فقال الجد: طبعًا، وأعطاه أيضًا بعض الثمار.

اندهش أحمد وفاطمة وقالا: يا جدي، هذه الثمار ملك لنا، فلماذا نعطيها لهم؟ نحن نستطيع أن نغلق الأبواب فلا يدخلوا علينا ويأخذوا ثمارنا، أو أن نجمعها باكرًا قبل أن يستيقظوا فلا يرونا.

قال الجد في حزن: أنتما هكذا تتصرفان كقصة (أصحاب الجنة).

فقال أحمد وفاطمة: وما هي قصة أصحاب الجنة يا جدي

وكيف تصرفوا؟

قال الجد مبتسمًا: هذه القصة قديمة وذكرت في سورة (القلم) في القرآن الكريم.

وبدأ الجد في سرد القصة قائلًا: كان هناك رجلًا صالحًا غنيًّا ويملك بستانًا به العديد من الأشجار والنخيل وكان يوم حصاد الاشجار يدعو الفقراء ليعطيهم منها.

فقال الابن الأكبر والأصغر: لم تعطي من ثمار حديقتنا للفقراء؟ هذه ثمارنا وننتظر بفارغ الصبر حتى نحصدها.

قال الأب: يجب أن نعطي بعضًا من نعمة الله علينا للفقراء كي لا تزول.

وبعد أيام قليلة مات الأب.

فقال الابن الأكبر والأصغر: علينا ألا نجعل هذه الثمار لأحد غيرنا، سنستيقظ غدًا ونأخذ كل الثمار دون أن يدري أحد.

فقال الابن الأوسط: هذا خطأ، يجب أن نعطي الفقراء من نعمة الله كي لا تزول كما قال أبي.

فقال الأخ الأكبر: خذ نصيبك وبعه وساعد الفقراء كما تريد.

قال الأخ الأكبر: سنستيقظ غدًا مبكرًا ونجني الثمار قبل أن يستيقظ أحد من الفقراء.

فأرسل الله على حديقتهم عذابًا وهم نائمون فأصبحت محترقة.

عندما استيقظوا ونادى بعضهم على بعض ليذهبوا ليحصدوا المحصول وجدوا الحديقة مدمرة ومحترقة.

فقال الابن الأوسط: لقد حرمنا الله كما حرَمْنا الفقراء.

ولام الأخ الأكبر الأخ الأصغر، فقال الأخ الأوسط: استغفروا الله عسى الله أن يبدلنا بحديقة أفضل منها.

سمع أحمد وفاطمة القصة وقالا: لا يا جدي، لن نحرم الفقراء حتى لا يحرمنا الله ويجب ألا نطمع ونعطي بعضًا من نعمة الله كي لا تزول.

قال أحمد: علينا أن نستغفر الله يا فاطمة.

وقالت فاطمة: لا بد أن نحفظ سورة (القلم) لنعلم قصة (أصحاب الجنة).

قال الجد: وأنا سأحكي لكم في المرة القادمة قصة جديدة من قصص القرآن الكريم.

(أطفال غزة)

بقلم: أحمد مصطفى جنيدي.

انتهى الجد من تناول طعام الإفطار وجلس أمام التلفاز يشاهد أخبار غزة، وحينها دخل أحمد يلاحق فاطمة ليأخذ منها الكرة التي قد اختطفتها منه، علا صوتهما بالشجار وذهبا ليتحاكما عند الجد الذي كان مشغولًا مهمومًا بما يراه من مناظر دامية ومؤلمة لأطفال غزة، فلاحظ أحمد انشغال جده، فنظر إلى التلفاز ليرى ما الذي أحزن جده، فوجد أطفالًا صغارًا وسط الدمار يبكون لفقدانهم أهلهم ومنازلهم، فسأل أحمد جده: ماذا يحدث يا جدي؟

فأجابه الجد: هناك هجوم على قطاع غزة من قبل الاحتلال الإسرائيلي تسبب في سقوط قتلى مدنيين واستشهاد عدد كبير من الفلسطينيين وتدمير منازلهم، كما أن الاحتلال الإسرائيلي استهدف المستشفيات وعربات المعونات الغذائية، فنادى أحمد فاطمة وقال لها: انظري ماذا يحدث في غزة ونحن نتشاجر على (كرة!)

فانصدمت فاطمة من مشهد الدمار والأطفال المصابين والقتلى وقالت: منذ متى يا جدي والاحتلال الإسرائيلي بفلسطين؟ قال الجد: منذ عام ١٩٤٨ أي قبل ٦٥ عامًا.

بدا الحزن على وجه أحمد وفاطمة وقالا: الاحتلال البريطاني لمصر دام ٨٢ عامًا (فما ضاع حق وراؤه مُطالب) غدًا تتحرر فلسطين وتعود لأهلها.

تبسم الجد وقال: ليتني أحضر هذا اليوم لأصلي في المسجد الأقصى معراج نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليله الإسراء والمعراج وثالث الحرمين الشريفين.

سكت أحمد قليلًا ثم قال: ليتني كنت كبيرًا لأدافع عن فلسطين معهم، لكنني أستطيع أن أساعدهم أنا وكل أصدقائي، فسنتبرع بنصف مصروفنا لأهلنا في فلسطين، ولكن كيف يا جدي ستصلهم تبرعاتنا؟

قال الجد: نرسل التبرعات عن طريق صندوق تحيا مصر ويوجد خط ساخن لإرسال التبرعات عليه وهو **(١٥١١٨)** ابتسم أحمد وفاطمة وقالا: حسنًا يا جدي، سنفعل ذلك.

(رحلة إلى الفيوم)

بقلم: أحمد مصطفى جنيدي.

كان الجد يجلس في شرفة غرفته المطلة على فناء منزله الواسع والمحاط بأشجار الورود التي زرعها خلف سور منزله لتضفي على الفناء جمالًا وبهجة، فسمع طرقًا على باب غرفته فإذا بحفيده أحمد الذي عاد من رحلة لمعالم الفيوم منذ يومين، فاستقبله الجد استقبالًا حارًا وقال: كيف كانت الرحلة؟

قال أحمد: قد كانت الرحلة رائعة جدًّا يا جدي، وكنت أريد أن تكون معي أنت وفاطمة، فقال له الجد: أخبرني ما الذي حدث معك؟

قال أحمد: عندما وصلنا إلى قرية تونس في حوالي الساعة الثانية عشرة ظهرًا، كان اليوم دافئًا ومشمسًا، لكنها لم تكن كما توقعتها، فقد كانت أصغر مما رأيته عندما بحثت عنها على جوجل، عبارة عن بيت من طابق واحد وسطح، ودخلنا إلى مكان بالدور الأول لنأكل، وقدموا لنا الفطيرة مع العسل وكان هناك الكثير من الطاولات والكراسي، فجلست مع أصدقائي في طاولة وتبادلنا الأحاديث والنكات وبعدها صلينا الظهر والعصر جمعًا وقصرًا ثم صعدنا بعدها إلى السطح ولعبنا واستمتعنا كثيرًا.

ثم نزلنا ولعبنا الكرة في مكان بعيد وبعض أصدقائي ركبوا الخيل، لكنني لم أحب أن أفعل، وكان ذلك المنزل يشبه بيتك يا جدي وإن كان بيتك أجمل وأوسع ويحتوي على حديقة واسعة ومراجيح ويطل على البحر اليوسفي، بصراحة قريتك أجمل من قرية تونس، فقد شعرت أنك معي يا جدي بسبب تشابه المكان.

بعدها ركبنا الباص لنذهب إلى المكان التالي وكان بحيرة قارون، وعندما وصلنا ركبنا أحد القوارب الخشبية البسيطة وكان هناك شاب لطيف وطيب كان يقود بنا المركب ونتبادل الأحاديث ونستمتع بمشاهدة الطبيعة الساحرة والمياه الصافية.

وبعد العصر ذهبنا إلى وادي الريان، وعندما وصلنا انبهرت من جمال الشلال وسمحوا لنا بالمشي فيه، لكن كان الكثير منا يقع، وكدت أن أقع عدة مرات لكنني تماسكت، لقد كانت تجربة ممتعة، وبعد أن انتهيت من السير في وادي الريان ذهبت لأشتري بعض الهدايا مثل الأواني الفخارية وبعض المشغولات من سعف النخل، حيث تشتهر الفيوم بمثل هذه

الصناعات اليدوية، وأحضرت لك تلك الزجاجة الفخارية لتشرب منها المياه الباردة يا جدي.

تبسم الجد شاكرًا أحمد وقال له: وأين ذهبت بعد ذلك؟

قال أحمد: ذهبنا قبيل الغروب لنمارس رياضة جديدة وهي التزلج على الرمال، فأعطوا كل واحد منا لوحًا خشبيًّا لنتزلج على الرمال، لكن أنا وأصدقائي لم نستطع وكنا نقع كثيرًا، وكانت رياضة غريبة وجميلة واستمتعت بها مع أنني وقعت كثيرًا.

ثم انتهت الرحلة وركبنا الباص مستعدين للعودة.

في الحقيقة لقد استمتعت كثيرًا بالرحلة مع أصدقائي.

فقال الجد: في المرة القادمة أنصحك بزيارة وادي الحيتان، فهي منطقة أثرية جميلة من معالم الفيوم.

وموقع أثري فريد في مصر يقع ضمن محمية وادي الريان، ويبعد حوالي ١٥٠ كم عن القاهرة، يُعرف بضمِّه لمجموعة ضخمة من الهياكل العظمية المتحجرة للحيتان التي عاشت منذ ملايين السنين عندما كانت المنطقة جزءًا من بحر قديم، وهو موقع تراث عالمي تابع لليونسكو منذ عام ٢٠٠٥

ويعتبر وادي الحيتان كنز جيولوجي وأحد أكبر مواقع الأحافير للحيتان في العالم؛ حيث يضم آلاف الهياكل العظمية التي توثق مرحلة تحول الحيتان من ثدييات برية إلى كائنات بحرية.

حيث أنه يعمل كمتحف طبيعي مفتوح لعرض هذه الهياكل الهائلة، مما يُتيح للزوار فرصة رؤية تاريخ تطور الحياة على كوكب الأرض.

كما يوجد في الوادي متحف متخصص يعرض الحفريات ويربطها بتاريخ التغيرات المناخية التي شهدتها الأرض، ليكون تجربة تعليمية فريدة للزوار.

كما توجد ممرات محددة داخل الوادي لتجنب إيذاء البقايا الأحفورية، مع وجود لوحات إرشادية ومرافق أساسية لخدمة الزوار.

استكمل الجد حديثه قائلًا: أوصيك بزيارته خلال فصل الشتاء للاستمتاع بالطقس، حيث يمكنك مشاهدة الغروب من أعلى القمة جبلية، والتخييم في الصحراء، ورصد النجوم بالفلك.

قلت حسنًا يا جدي، سأقترح على مشرف الرحلة في المرة القادمة أن نزور وادي الحيتان بدلًا من قرية تونس؛ لأنها لم تكن كما توقعتها للأسف.

فهرس

إهداء ٥
إهداء واجب ٧
مقدمة ٩
بين يدي الكتاب ١١
(إنه هو) ١٣
(ذاق الشجرة) ٢٣
(بَعدَك على بالي) ٣٥
(أبغض الحلال) ٤٧
(لحظات فارقة) ٥٧
(قطعة جاتوه) ٧١
(صندوق باندورا) ٨٣
(إنذار بالحب) ٩١

(الرصاصة الأخيرة)..... ٩٧
(المكالمة)..... ١١٣
(الباب الأخير)..... ١٢١
(ربح البيع إذًا)..... ١٣١
(بين قوسين)..... ١٣٩
(بصيرة)..... ١٤٥
أغلى إهداء..... ١٤٩
(الكواكب المتشاجرة)..... ١٥١
(أسنان القرش)..... ١٥٧
(ثمار الحديقة)..... ١٦٣
(أطفال غزة)..... ١٦٧
(رحلة إلى الفيوم)..... ١٧١